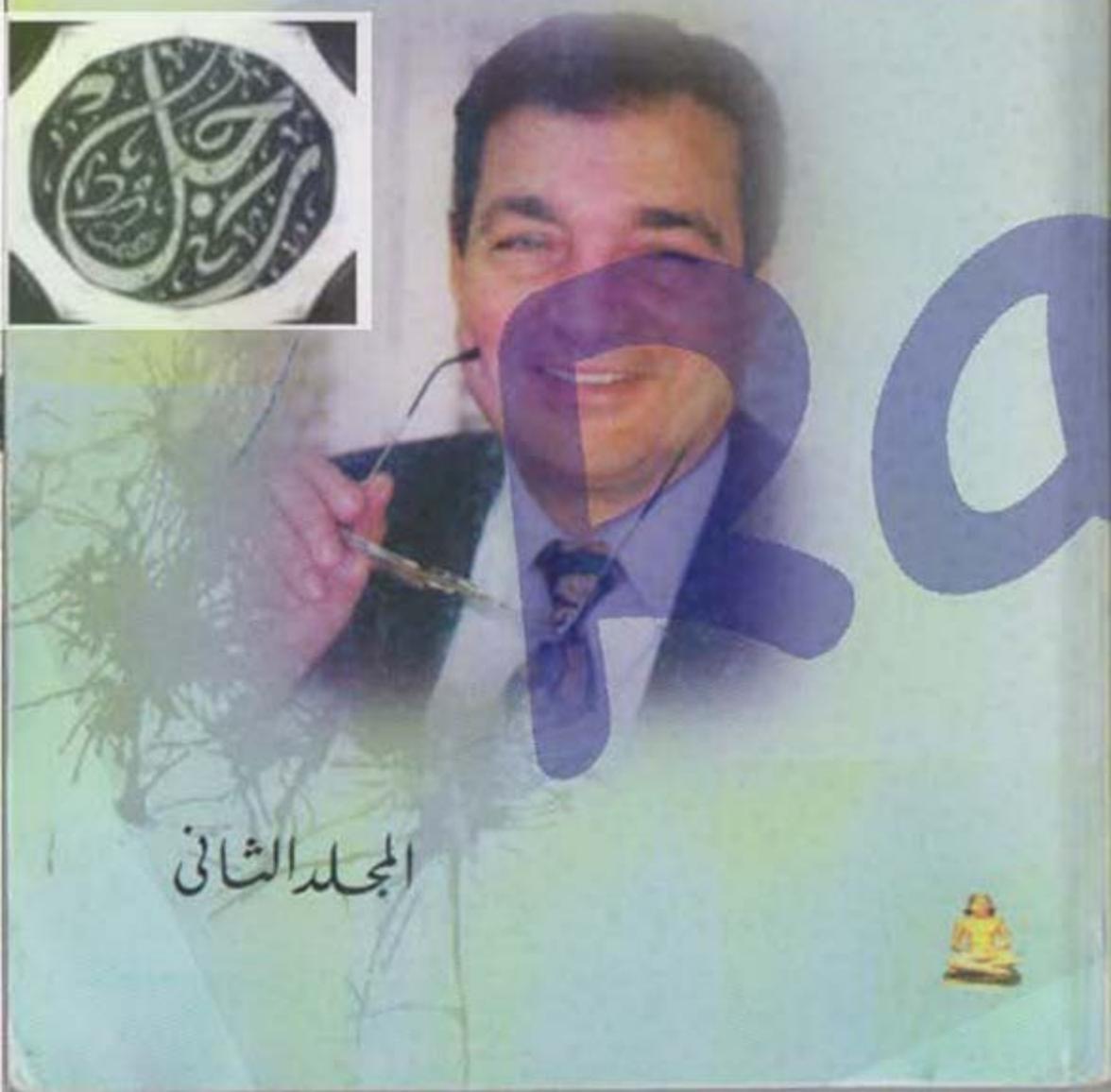


الأعمى الشكرية

فأرفق شوشة



المجلد الثاني



joi



فَارَاقٌ شَرِيفٌ

الأعمام الشكرية

المجلد الثاني



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٨

شوشة ، هاروق

الأعمال الشعرية / هاروق شوشة . - القاهرة ؛
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨ .

مج ١ : ٢٤ سم .

تدملك ٣ ٤١٠ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - الشعر المرص - تاريخ - العصر الحديث .

(١) العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ١٤٨٥٣ / ٢٠٠٨

I.S.B.N - 978 - 977 - 420 - 410 - 3

ديوى ٨١١ ، ٩

الإشراف الفنى

صبرى عبد الواحد

تصميم الغلاف : الحبيبة حسين



• يقول الدم العربي

• هئت لك

• سيادة الماء

• وقت لاقتناص الوقت

• وجه أنوسى

• الجميلة تنزل إلى النهر



مدنٌ للرحيلِ
فمن يُمسكُ الأرضَ؟
من يتجاسرُ أن يزرعَ القدمينِ
ويثبتَ للمدِّ،
يُقسمَ:
هذي نهايةُ موتي
وهذي بدايةُ صوتي
وهذا طريقى إلى المستحيلِ!

فاروق شوشة

يقول الدم العربي

يقول الدم العربي

أخيرًا،

يقول الدم العربي:

تساويتُ والماءَ

أصبحتُ لا طعمَ،

لا لَوْنَ،

لا رائحة!

أخيرًا،

يقولُ الدم العربي:

أسيلُ..

فلا يتداعى ورائى النخيلُ

ولا ينبتُ الشجرُ المستحيلُ

أسيلُ..

أروى الشقوقَ العطاشَ،

وأسكبُ ذاكرتى للرمالِ،

فلا يتخلَّقُ وجهُ المليحةِ،

أو حلُمُ فارسها المستطارِ،

وأنزفُ حتى النُّخاعِ،

وينحسرُ المدُّ،

تتبتُ فوقى حجارَتكم،

مدناً تتمدِّدُ أو تستطيلُ

وتأكلُ ما يتبقى من الأرضِ،

لكنها أضرحة!

* * *

أخيراً،

يقول الدّم العربيُّ: اكتفيتُ

تجاوزتُ جسَرَ الشرايينِ،

أسرّجتُ خيلى بقلبِ العراءِ،

وخيمتُ فى نقطةِ الجذبِ

أحكمتُ أغنيتى

وانتشيتُ لنفسى

وقلتُ:

أطاوُلُ كلَّ الدماءِ التى أنضجتّها الحرائقُ،

كلَّ الدماءِ التى أهرقتها الملاحمُ،

كلَّ الدماءِ التى اعتصرتها المآدبُ،

فاخرتُ أنى الوحيدِ الذى

جعلوا من بقاياهُ خاتمةً للبكاءِ

وفاتحةً للغناءِ

ومن رئتى مذبحه!

* * *

أغوص بذاكرة الرمل،
وجهى عروسٌ تخطفها الموتُ،
والقاتل الهمجىُ
تغيبُ ملامحها
ويغيبُ الهوى العربىُ
قاومتُ،
فانفلتت فى فُقاعةٍ،
وانطفأتُ،
تشاغلْتُ،
أحكمتُ فوق ملامحها قبضتى
واسترحتُ،
أغوصُ بذاكرة الرعبِ،
وجهى سحابةٌ يُنم،
تُعششُ فى كلِّ بيتٍ

وتتركُ بعضُ عناكبها فى تراب الملامحِ

وجهى الذى يتشكّل فى كلِّ حالٍ،
ويلبسُ أقمعةً لا تبوحُ،
وينظرُ فى رحمِ الغيبِ،
ماذا تُجنُّ الغيومُ؟
وماذا تقولُ البروقُ؟
وماذا تخبئُ عاصفةٌ فى العروقِ،
ودمدمةٌ فى الرؤوسِ
وأشبهت الليلةُ البارحة!

* * *

أخيراً
يقول الدم العربىُّ المسافرُ عبَّرَ العواصمِ
والتجمُّعُ خلفَ الحواجزِ
والمتأثر فى كلِّ أرضٍ:
تعبتُ
وهذى هويّةُ جلدى

وبعض ملامح أرضى التى سكنت فى العيون،
تعبتُ،

فمن يحملُ الآن عنى بقية يومى،
وأشلاء حُلْمى،
ويمضى..

تعبتُ..

الدروبُ يلاحقها الموتُ،

يسكنها الصمتُ

والقلبُ يملؤه القهرُ،

والشّاحنات الرجيمةُ ترتدُّ عبْرَ الزوايا

شظايا

تعبتُ..

المدى.. لا يُبينُ

الصدى.. لا يُبينُ

ووجهى ما زال مُنْسَحَقاً

فى جبين المرآيا..
تلاحقُ اللعنة الجامعة!

مدن للرحيل

مدن للرحيل،
الطيور تغادرُ أعشاشها،
والغيومُ التي تتجمعُ تُعلنُ عن زمنٍ للعواصف،
عن موعدٍ لاختلاطِ الفصول
أفتح نافذتي - عبْرَ النيل - يُباغتني وجهُ عدوي
يترصدني
ويمدُّ ذراعِيه تطولاني حيث أكونُ،
وحيث تغيبُ الشمسُ،

محالٌ أن أتحوَّلَ عن خنجره

وهو يفوصُ ويبدأُ فيَّ

محالٌ أن أتلاصقَ

بعضى صار يُناجزنى

يتكَّرُ لى، ويُباعدنى

وأنا المذبوحُ على الحدَّينِ،

أردُّ الطعنةَ كيف؟

أصوبُّ، حينَ أصوبُّ، للمجهولِ!

وجهُ عدوى فى نافذتى،

فى مرأتى،

فى داخلِ سُمى وطعامى

يترصِّدنى

لا أتساءلُ: كيف انسلَّ وخيَّم ثم أقام

لا أتساءلُ: كيف تسوَّرَ أفقى

أصبح كابوسى،

قلقى،

صحوى

هرى، حين أنام

وأنا المنتظر لحظة تنفيذ الإعدام

لو أملك صوتى، أصرخُ فى البريه:

ها، تقتربُ الساعةُ

حين يجفُّ العمرُ

وحين يشيخُ النهارُ

وحين يطولُ القهرُ

وحين..

ولكننى، خلفَ كلِّ الدروبِ، ولا من سبيل!

مدنٌ للرحيل

والذى قد تناثر عبْرَ الرياح

وطنٌ مُستباح!

* * *

مدنٌ للرحيلِ

المدافنُ شاخصةٌ

والغبارُ الذى قد تكاثفَ موتٌ

والذى قد تكشَّفَ فوَّتٌ

وهذى العماثرُ تزحفُ فى كلِّ صوبِ

تُباغتنا مُشرعاتِ الأسنَّةِ

غائصةٌ فى قرارِ الحلوقِ

والذى نبتى

مدنٌ للبكاءِ

وأقبيةٌ للعواءِ

وفى باطنِ الأرضِ زلزلةٌ

تتشققُ عنها الوجوهُ

ولكننا لا نفيقُ..

مدنٌ فى انتظارِ الرحيلِ

والمشانقُ تمنعنا أن نجاوزَ حدَّ البكاءِ

وحدّ العزاءِ

وأن نتصاعد في درجات العويل

نستأذن حتى في الأحزانِ

ونفترقُ من غضبِ السجانِ

فُنعلمُ أنّ المضيق اتساعٌ

وأنّ القفارَ جنانٌ

وأن الزمانَ زمانٌ

وأنّ الهسيسَ الجبانَ سهيل!

* * *

مدنٌ لا اختبار النوايا

ومهما تصوّرت أنك جاوزتهم

ونجوتَ بجلدك

أنك مؤتمنٌ وسميعٌ مطيع

فهم مُوقفوك

وهم سائلوك:

ومن أنت؟

ماذا تكون؟

وما تبتغي؟

- ما أنا!

- من أكون!

- وما أبتغي!

آه للوهم..

كان يُزَيِّن لي.. أنتى

قد عبرتُ الحدود

وحلقت فوق الحواجز

شارفتُ كلَّ النجوم

وأطللتُ مثل انعقاد السَّماءِ

على وطنٍ من نجوم

وأنَّ الأثيرَ الذى كان يوماً بضاعتنا

لم يضعْ فى السِّديم

ولكنه، واقفٌ، كالرّدى شاخصٌ، فى عُنوّ دميم

يباغتى بالسؤال العقيم:

ومن أنت؟ ما تبتغى؟

عدوّ هناك تسأل فى

وأخرُ عندى عدوّ مُقيم

وبين عدوّين

ماذا أكون؟

وما أبتغى؟

وطنٌ واحدٌ لا يُباعُ

وعمرٌ جميلٌ قديمٌ!

* * *

مدنٌ للرحيل

مدنٌ للبكاء الطويل

مدنٌ لاختلاطِ الفصولِ

فمن يُمسكُ الأرضَ،

من يستميتُ على حدّ خارطةٍ في الحدودِ،
وخارطةٍ في الدماءِ،
ليعلنها وطناً لا يضيعُ
ولا يتراجعُ،
لا يتقلّصُ يوماً فيوماً
وشبراً فشبراً
وتطفو بقاياهُ فوق الدموعِ
فمن يُمسكُ الأرضِ،
من يتجاسرُ أن يزرعَ القدمينِ
ويثبتَ للمدِّ
يُقسمُ:
هذي نهايةُ موتي
وهذي بدايةُ صوتي
وهذا طريقى إلى المستحيلِ!

موكب الشهداء

خشوعاً، فهذا اليوم فى ساحهم عرسُ
وصمتاً فى أعماقنا يورقُ الهمسُ
مواكبُ من تحت التراب، لها صدى
ورفرفةٌ بين الضلوع، لها هسُ
نطالعها بالعين، لو تسعفُ الرؤى
ونحْضنها بالقلب، لو أمكن اللمسُ
ونرتاح للصدر الذى كان حانياً
وكان أنيساً حين يُفتقدُ الأنسُ

وجئى لنا معنى البطولة، غالياً
يُكشِّفهُ درسٌ، ويعقبهُ درسٌ
وصيحةٌ تكبيرٍ تهلّل وقعها
فكان له فى كل جارحةٍ جرسٌ
وخيط دمٍ ينصبُّ فينا، ولم تزل
كئوس الردى الظمأى لسياله تحسو
تتازعها الفتیان فى كلّ ساحةٍ
وهاموا بها خَوِّدًا مراشفها لُعسُ
عرفنا وذُقنا، والحلاوةُ مرّةٌ
وأغلى من النفسِ الذى تفتدى النفسُ!

* * *

خشوعاً، فهذا اليوم فى ساحهم عرسٌ
وصمّتاً، ففى أعماقنا يورقُ الهمسُ
ويخضلُ بالتذكّار جرحٌ تبرعمتْ
أزاهيرهُ وامتدّتْ فى ظلها غرسُ

بسطنا له أرواحنا وصدورنا
وسائد تطفو في الدموع، ولا ترسو
نطوف به ساعين في كل موكب
ويلمسنا من وقع أصدائه مس
ويمتد في مسرى الشرايين صهده
يموج به طقس ويعنو له طقس
فرضنا على الموت الخضوع، فما الذي
يريد إذن؟ هذا هو الثمن البخس
فكم رُد مغلوباً، وقد ظن غالباً
فعاود محتالاً، سعائته خلس
نخوض به وجهه فيختم في
ويطمعه هذا القناع، فيندس
على أي حال تستريح جنوبنا؟
ومن حولنا روم، ومن حولنا فرس!

* * *

وجهك.. خضرة هذا البيرق
نجم بالبحرى يتألق
جسر ممدود للآتى
والآتى حلم يتحقق
وجهك صورة طفل شب
ملامح دنياه تتخلق
تلغ شفاه بكلمات
حيرى، ودموع لا تنطق
فإذا انهمرت كانت سيلاً
فى مجرى دمع يتدفق
يكتمها فرط شجاعته
وبراءة قلب يتمزق
ويخط سطوراً، ورسوماً
عن وجهه فى اللجة يفرق
المحك تمدداً، تمدنو

والصدر لهيب يتحرَّق
تحتضن جدارًا، وجدارًا
وتدقُّ على الباب المغلق
تنفضح الكؤُة، وافرحًا
للعائد، ذى الخطو المرهق
قد عاد إلى الحضن الوافى
والوجه المكدود المطرق
وارتفعت عين،
واندفعت لغة،
وتدلى استبرق

الفارس مازال أبيضًا
يطأ الأحلام، ويتفرق
جلوته عين ساهدة
تتملى فجرًا، لم يُشرق

* * *

خشوعًا، فهذا اليومُ فى ساحهم عرسُ
وصمتا فى أعماقنا يورقُ الهمس
ونحن شهود اليوم، ماذا يئودُنا؟
غدٌ يتصبّانا، فهل يسعفُ الأمسُ؟
قلوب لنا بالحزن ملأى، وأعينُ
تُداهُمها الرؤيا، وألسنة خرسُ!

بيروت

مِرْقٌ من قمرٍ
وبقايا غمامٍ
لم تصدُهُ القذائفُ في الليلة العاصفة
وصدَى يتقصّفُ،
وجهٌ لطفلٍ على البعد يشحبُ،
يغرقُ في هُوّةِ النَّزفِ
والدهشةِ الجارفةِ
آه، ترنيمةٌ هشةٌ تتوقفُ،

تجدلُ بنتٌ ضفیرتَها
وتغادر ضیعَتها
فتضیعُ،
ویرحلُ سرّبُ الیمامِ
ویدُّ تستطیبُ الزنادَ
وتکمنُ فی المنحدرِ
وهی تُرخی مساحَةَ حزنٍ جدیدٍ
وتطلقُ زخّاتها
فی انتظارِ المطرِ
أیُّ وعدٍ یخبّئهُ القادِمُ المُنتظرِ
والمنايا بَشرا
حین تعولُ ریحٌ
وترعدُ عاصفَةٌ فی الخیامِ
یتوارى خبرٌ
ویدوی خبرٌ

ثُمَّ نَفَلِقُ صَوْتًا لَمَذِياعِنَا،

وَنَنام!

* * *

كان قلبي على حافة المدِّ مُنْفَتِحًا،

والسماءُ تتوءُ عناقيدها

والضلعُ التي تتلاصقُ، تحضنُ بُرغمِ حلمٍ،

وهذي أصابعنا تتبشُّ المستحيلِ،

وتلمسُ واجهة الكونِ،

تمتدُّ شهوتنا للذي لا يُنالُ،

فيدنو المحالُ،

وتشرقُ بيروتُ في دائرة القلبِ،

نجمًا عصيًا

وأفقًا سخيًا

وكوكبة الكلماتِ الرجالِ

الخيول التي غادرتْ قَيْدَها، لم تعد

والليالى التى انطلقت إثرها، وهى مُجفلةٌ،
تتلفَّتُ،

يا مَنْ يعيدُ إليها تباريحِ شوقِ،
ويضرمُ أعصابها،
فى جوِّ واشتعالٍ
ما الذى لم يزل يترصدُ فاتتةَ الماءِ،
ينهشُ لحمًا طريًا .
ويجتاح صدرًا حفيًا
ويقتل كلَّ انتظارٍ لجلوتها،
حين يعتو،

ويمعنُ فى سفهِ وارتجالِ
نعبِ الآنَ من حولها، ونصيحُ
نعاينُ رجَعَ الصدى
زمنًا جاء منطفئًا
تتكسرُ فيه النَّصالُ!

تلك بيروتُ، أم؟
- فاشتموا أيها الشامتون -
مزقٌ من قمرٍ
وقلوبٌ حجرٌ
وبقايا خبرٍ
ورصيفٌ على البحر،
ناءً بأحزانهِ
وانكسرًا!

يتغير لون الماء

يتغير لونُ الماءِ، ويُعتمُ وجهُ النهرِ
يعبرُ منكسراً، مكدوداً،
تثقله سنواتُ القهرِ
تمتدُّ ذراعاهُ لتحتضنا الشيطانَ،
فترجعُ بالخذلانِ
لا موجَ الآن، ولا شاطئِ
هذا شبحُ اليمِّ بعيدٌ، فارحلٌ فيه،
وغيبٌ هذا الوجه، وهذا اللونُ،

وهذى الأحزان
وارحلْ عبْرَ مصبِّ الدمعِ، إلى المجهول
ماذا تحملُ؟
أىُّ وعودٍ بعدُ؟
وأىُّ سيوفك سوف يصول؟
النهرُ المتكسّرُ فيك،
وجذبُ القاعِ،
وملحُ التربةِ
والإنسان!

* * *

منفياً أخرج من زمنى
أبحثُ عن وجهى عبْرَ مرايا الرُّعبِ،
وأحمل فى أشرعتى .. كفى
لا تُثقلْ قلبك بالذكرى، فالقلب ملولٌ سآمان
لا تشغل ليلىك منتظراً ..

فالفجرُ المأمولُ .. جبانٌ
والصورةُ شاحبةُ الألوانِ
ما أقبحَ وجهَ القومِ،
سعارٌ وحشىٌّ يتراقصُ فيه
وفؤوسٌ بالأيدى .. تهوى
مشرعةً تطعنُ طعنَها
وتواسى القتلَى .. فى العلى
منفياً أخرجُ من زمنى
فى أقصى الغربِ مدُّ السَّيْلِ
ووجهُ الرُّعبِ،
ووقعُ الرَّجفةِ فى وطنى!

* * *

مُتَّجَةً أنتِ ..
ولا تدرى أَيْانَ تكونِ!
فتخيّرِ أرضاً وطريقاً

وتخيّر عُمرًا، ورفيقًا
وتخيّر شجناً، وحرّيقًا
وتخيّر سجنك أو منفاك
فالأرض منافٍ وسُجون
العمرُ يهونُ
والموتُ يهونُ
والحلمُ الغائبُ، ليس يهونُ!

رسالة إلى أبي

يفجؤني الذي اكتشفتُ: أنتَ في نفسِ حَلَّتْ!
في صوتي المُرْتَجُّ بعضُ صوتك القديمِ
في سِحْنَتِي بَقِيَّةٌ من حزنك المُنْسَلِّ في ملامحك
وفي خفوتِ نَبْرَتِي - إذا انطفأتُ - المَحُ انكسارتك
وأنت..

عازفاً حيناً،

وحيناً مُقبِلاً

وراضياً، تأخذني في بُرْدِكَ الحميمِ

أو عاتباً، مُغاضباً
فأنت في الحالين، لن تصدني..
وتستخيراً الله، أن تكون قد عدت!
يفجؤني أنك لم تزل معي
وأنت شاخصٌ في وقفتي الصماءِ،
والتفاتتي
أرُقُبني فيك،
وأستديرُ باحثاً لذيِّ عنك
تحوطني، فأتكئ
تمسكُ بي، إذا انخلعت
تردني لوجهتي
مقترحاً كآبة الليل المقيم
الآن، عندما اختلطنا
صرتُ واحداً،
وصرتُ اثنينِ

عدتُ واحداً،
عنك انفصلتُ، واتصلتُ،
وانفصلتُ، واكتملتُ
لم أدر كم من شجوكِ النبيلِ قد حملتُ
أضفته لفريتي
ومن إبتائكِ الذى يطاولُ الزمانَ .. كم نهلتُ
فاكتملتُ معرفتى
واتسعت أحزانُ قلبى اليتيمِ
بالرغم من أبوتكِ
وأنت ناصحى المُجربِ الحكيمِ
لم تُتجنى من شقوتك!

* * *

أبى ..
تراكِ فى مكانكِ الأثيرِ مانحى سكينتكِ
وقد فرغتَ من رغائبِ الحياة

فانسكبتُ شيخوختك
على مدارجِ الصفاءِ والرضا
وصار قوسُ الدائرة
أقربَ ما يكون لاكمالها الفريدُ
هأنذا ألوذُ بكِ
أنا المحارب الذي عرفتهُ، المفتونُ بالنزالِ
وابنُك..

حينما يفاخر الآباءُ، بالبُنوةِ الرجال
منكسراً أعدو إليك
أشكو سرابَ رحلتى
وغربتى
ووَحدتى
محتمياً بما لديك من أبوتى
ولم يزلْ فى صدرك الرحيب مُتسع
وفى نفاذ الضوء من بصيرتك

جلاءُ ظلمتى وكُريتى
فامدّدْ يديك للذى قد غاله الطريق
واخترقت سهامهم صميمه.. فلم يقَعْ
لكنه أتابك نازفاً مُضرجاً
دماؤه تقوده إليك
ونُدبةٌ فى جبهته
وصرخةٌ مكتومةٌ يُطلقها.. إذا امتنعَ
هذا ابنك القديمُ،
وابنك الجديدُ..
يبحثُ فيك عن زمانه،
وحُلمه البعيدِ
فافتحْ له خزائنك!

دعوني أوجل حزني

هو الوقتُ،

ما بين عَيْنِكَ والدمعِ،

ما بين صَوْتِكَ.. والقَهْرِ،

ما بين فرَحَتنا.. والختامِ

وموعدِ حزنِ، نَوَجُّهُ كلَّ عامِ

ونخشاهُ

نحمله في الحنايا

يُجَلِّلهُ خَجَلٌ، واكتتامًا!

هو الوقتُ،
ساعةٌ دوى النذيرُ،
وفى القلبُ أُغمدُ حدُّ الحسامِ
لقد آن للشمسِ أن تستريحَ،
وأن يتلبَّدَ وجهُ الغمامِ
وللحلمِ، أن تتلاشى رؤاه
ليفصحَ عن وجعٍ لا ينامُ
لماذا يقولون: ساعةٌ نحسُّ نُحلِّقُ فوق الجُمعِ؟
وصوتُ المؤذنِ يعولُ فى البعدِ،
ينعى رحيلَ القطا
واختفاءَ الإمامِ!

* * *

وشقُّ المدى صوتُ جارتنا الطيبة
تقول وداعاً..
وشقُّ الظهيرةِ ركبُ الجنانِ،
وأوغلَ فى الطرقِ المترية

نفوس بأقدامنا فى الثرى
تفوصُ ملامح هذا الزمان القديم
ونهى بأحزاننا فى السديم
ونرحل مثلَّ انكسار النهار،
يُلاحقه هاجسٌ لا يريم
ومن أنتِ؟
من نحنُ؟
كيف ابتعدنا؟
وكيف انهمازُ البلاءِ المقيم؟
ساوى إلى الركن، لا تخذلىنى،
ولا تحرمينى الرضا والنعيم
وعُمرأً تسللَ مثلَّ النسيمِ
وما زال صوتٌ يقول: وداعاً
وما زال يُعولُ قلبٌ يتيم!

* * *

دعوني أُوجَلُّ حُزنى
لأفسح وقتاً لأحزانكم
وحين تجفُّ الدموع،
ويُطوى بساطُ العزاء
وتأوون للغرف الباردة..
وتتسوّن هذا الفراق، وهذا الرحيل
ووجهاً،
عبرنا عليه الزمان الجميلاً
سأبكي وحيداً
وأبكي طويلاً!

في أرض رفاعتِ

أبحثُ عن موطنِ خُطواتِك
أتسَمُّ عبقاً يسرى حُرّاً في شُرُفاتِك
وبقايا عطرِ
طوَّف في الآفاقِ وهاجر في كلِّ الدنيا
يُوقظنا وقدُ الفطنةِ من لفحاتِك
نتخطى قيَدَ العصرِ،
ونقتحمُ الدَّيجورِ
يفزوننا البحرُ،

فنعبرُهُ والقلبُ جسورٌ
ونعودُ نُفتِّحُ أبواباً
ونُزِيلُ حجاباً وحجاباً
ونُواجهُ لَفْحَ التَّوَرِّ
أبحثُ عن موطنٍ خُطواتِكِ
وَألمسُ ذاتي في ذاتِكِ
أعرضُ وجهي في مرآتِكِ
وأقول - وقد دار الزمنُ المحدودُ،
واختلَّتْ آفاقُ الرؤيا،
وبدأنا نَسألُ عمَّا خَلَفَ السُّورُ:
ها نحنُ نعودُ إليكَ
لنُسافرَ فيكَ
ونبدأُ ثانيةً رحلتكِ المرجوةَ للنورِ
نبدأُ من مطلعِ كلماتكِ^(١)

(١) ولدت القصيدة خلال لقاء بين الشاعر ونخبة من شعراء محافظة سوهاج حيث موطن رفاة رافع الطهطاوى.

عن الحب والحرية

تبدأُ الأشياءُ في حُسابنا أصغر مما نتصوّر
ثم تمتدُّ، وتكبرُ
فإذا عيناكِ في الدنيا، اتجاهاتُ شمالي وجنوبي
وإذا اللحظة فيما بيننا
عمرٌ من الأزمانِ يطوينا
ولا ندري بأنا نتغيّرُ
تبدأُ الأشياءُ منكَ
ثم ترتدُّ إليكِ

وأنا، بين البداياتِ التي تصبُحُ من بعدُ ارتداداتِ
أرانا

قد تجاوزنا حديث القيد والقضبانِ،
والقهر، وأحزان المدينة
واخترقنا الحاجز المائل ما بين ارتعاش الظلِّ
والنفس الحزينة
فإذا نحن صغيرانِ، كبيرانِ، بحجمِ الكونِ،
نجتازُ، ونعبرُ!

* * *

الأنى حين أحببتُكِ
أحببتُ جناحينِ يطيرانِ،
فلا تجسُرُ ريحٌ أن تقاوم
لا،
ولا عاصفةٌ مسكونةٌ بالرعد يوماً،
أن تصادم

لا،

ولا قضبان هذا العالم المملوءِ جوراً وقتامة

أن تُزاحمَ

الأنى حين أحببتكِ واجهتُ جحيمي

وتنفستُ نسيمي

مُسلاً عمري إلى ربح الصبأ

وشميمٍ من عرارٍ وخُزامي

فيكِ عاينتُ سمائي ونجومى

فتعمرى كلُّ ما فى الأرض من قُبْحِ كريبهِ ودمامة

باحثاً عن جُلوةِ الحسنِ الذى يقطرُ من ذُوبِ ابتسامة

وعن الدفاء الذى يكسو محيآكِ وسامة

عندما ينهلّ هذا الموكبِ الأسنى

فأنشقَّ حجازاً وتهامة

برزخى أنتِ

وفى دربكِ من عُمرى علامة

كيف ألقاك هروباً وانهما
وأنا الضاربُ في الأرضِ،
بهذا الحبِّ أقوى
وبهذا الفيض أبقى
سارياً في عبق الطين دماً
صاعداً في ألق الجوِّ غمامة
ذائباً في النيل،
شطأه امتداداتي
نداءاتي موجاتٍ سجيناتٍ
وروحى في قيود الأسرِ
تحليقٌ مُدْمَى وارتطامه
داخلي ذرٌّ من الصحراءِ
ممزوجٌ بطمى النيلِ
مقدوفٌ بهذا الكونِ
أجتاز على كرهٍ زحامه!

* * *

وليكن،

ما الذى يبقى من العُمُرِ
إذا ما كان هذا العُمُرُ سَجْنَا

والمدى المدوْدُ جُبْنَا
والربيع الطَلْقُ حزنا

وليكن،

ما الذى نصنعُ بالحبِّ إذا كان اغتياًلاً للخلايا

وانطفاءً للذى يلمع فى عَيْنِ الصبايا

وانغماساً فى سراديب الحكايا

دون أن يرتجّ فينا كلُّ بركانِ الحنايا

فترى الميلاد فى قلبِ المنايا

والمدى المنسوجَ من عزفِ الشظايا

والغدَ الطالعَ من عُرْسِ النهارِ

ساطعاً،

منكسراً فوق المرايا

* * *

ما الذى يجعل صحراء - إذا امتدَّت حوالينا - بساتينَ
فرح

ما الذى يجعل هذا الأفقَ العارىَ ركباً من حكايا
ومُويجاتِ نغم

وعناقيد تلالٍ نسجت بُرْدَ التجلُّ
واستكنّت فى الحنايا

أمطرت فى حبة العينِ مواعيد انعطاف
ما الذى يطلقُ فى وجه أعاصير الطريق
عاصفاً مُشتعلاً بالصبوات

يتخطى كلَّ ذرّاتِ الرمالِ الهوج،
مدفوعاً إلى عيينين،

غاصت فيهما ومضةُ حبٍّ وانخفافٌ
تعبت أسئلتى ... فلتتوقف

إننى أعرف ما بعد لماذا!

ولهذا

كلّما امتدت ذراعاي، وأوشكتُ

تتاعيتِ

تتأى الحلمُ،

وازداد الغد المأمولُ بعدا

آه لو تدرين، آه

إنّ كيمياءَ الشرايين تزيد القلبَ صهدا

أمطري يا غيمتي ناراً وشهدا

إنّ لي في مُقبل التاريخ وعدا

إنّ لي في فحمة النيران وقدا

وأنا المشدودُ كالأوتارِ،

كالإعصارِ،

كالتيارِ،

شدّاً

ولقد قاربتُ جدّاً

إننى قاربتُ جدّاً!

رحيل المفنى

لماذا بدأتُ بِكَِ المستحيلًا؟
وشارفتُ فيكَِ النجومَ - توهمتُ -
كدتُ ألامسُ وجهَكَِ
كدتُ أصافحُ عينيكِ،
لكننى الآنَ - حينَ بلغتُ مدارى
وذقتُ انكسارى
ولازمتُ دارى -
أدركُ أنى تجاوزتُ،

حين افترضتُ إِلَيْكَ الوصولا!

لماذا..

وقد كنتِ أقربَ نجمٍ يُطالعنى وجهُهُ المُتقلِّبُ

حتى كأنَّ بعينيهِ دمعاً

وفى الصدرِ عاصفةٌ من شجونٍ،

وأفقاً أعاينُ فيه الأفولا

فغنَّيتُ،

ما كنتُ أعبأ بالسَّامعينَ،

ولا المدلِّجينَ الحيارى إِلَيْكَ،

ولا المنتوينَ الرِّحِلا

فأبعدُ مما يظنون.. أنتِ

وأمنعُ مما يرومون.. ساحكِ،

حتى ولو أدمنوا منك فى كل يومٍ،

وفى كلِّ عُرْسٍ،

زماناً جميلاً

ووجهًا جميلاً
وغنيّةً،
تحفزني نشوتي أن أطبلاً
وها أنا في ساحة القوم، مغتربٌ، أتلاصقُ فيّ،
وأخشى الدخولاً
لماذا، وقد عُدتُ، ألكِ حِصْنًا عَزُوفًا
ووجهًا بخيلاً
تقلصُ ظلكِ حتى توارى
وأمعن وجهكِ حتى تبدّل،
حتى تراءيتِ كالطيف،
حين يراودُ،
حين يشاغلُ،
مستعذبًا أن يزولا
وأسقطُ ما بين حلمينِ:
حلمٍ سريعِ الزوالِ،

وآخر - فى القلب - يشكو الذبول!

* * *

غداً تدركين رحيل المغنى
إذا طار عنك بعيداً، وأغضى
وأدرك قبل انغلاق المدى
بأنَّ الجناحين قصاً
وأن الطريق الذى كان يُفضى توقفاً،
والقلب أصبح قلباً ملولاً
فهل تسمعين العويلاً؟
وهل تأذنين له - مُرغماً - أن يقول:
أحبك ليلاً ثقيلاً بقلبي
وعبئاً مقيماً بدربي
وفاتحةً من بكاءٍ تؤرخُ خاتمةً للفناءِ
ووعداً،
عرفتُ به المستحيلاً!

الوجه المراوغ

وجهك مثلُ وطني المِراوغُ
أعجبُ من قدرته على تلبسُ المسوح والألوان
وعجزه عن لحظةٍ يلوذُ بالأمان
فيها.. المُعذَّبُ الإنسان
الليلُ حالٌ، والنهار حال
بينهما الحلمُ الذي انقضى
والقادمُ المبحرُ في المحال
خاوٍ كتابُ عُمرنا وفارغ

نعبُرهُ صحائفًا مثقوبةً، مُضَرَّجَةً
تتزفُ من سطورها الأحزان
وتيبسُ العينان!

* * *

ها أنتِ مثلِ وطني، تبتلعين الطعم
تُشوّهين بالمساحيق، وبالأصباغ
نقاءَ وجهِ العالمِ الحبيسِ في إسارِ فِطْرَتِكَ
وترقصين رقصه الفتونِ والإغواءِ
للطامعينِ الآنِ في المستورِ خَلْفَ حِكْمَتِكَ -
وتُسفرنَ عن عجائبِ بلا هويّةِ
مخلوعةٍ من أفقها، وسحرها العتيّدِ
سيدتي..

كيف يجارى حُلمكِ السَّعيدِ
مَنْ حُلمُهُ في يومِهِ وغدِهِ البعيدِ
حسوةٌ منقارٍ،

وحشوّ فم
ولفةً جامعةً برّية
لا تنطفئ
تحت فداحة الألم!

* * *

وجهك صار غابةً، وبعض نار
أغصانها تنوء من ثمارها المحرّمة
يا كم سرقنا من قطافها
وارتبكت خطوتنا الشوّهاء في ظلالها
واشتعلت أرواحنا باللذّة المؤثّمة
ثم اكتشفنا أننا أسرى الدروبِ المعتمة
تُرى، متى يشتعل الفتيل
وتتنشى ملامحُ الإعصار
بالموعد الخبيّ في الأقدار
ساعتها،

يسقطُ عنكَ العارُ
ويشرقُ النهارُ!

وردتنا تفتحت

حين انحنت برأسها فراشةً مُطوّقة
وثبتت عينيّن،
رفّت فيهما لَمعةٌ صفوّ ماكرة
تسألني..

عن موعدٍ لزهوةِ الصبّا متى يجئ
وعن تتنّى العود، والتفافَةِ الغصنِ النحيل
وموكبِ الأحلام فى انطلاقةِ العمر الجميل
وعن مواقيتَ لجنّى الثمرة

وفورة العطور والظلال والألوان
وعن مدى تطلُّ في آفاقه مُحدِّقة
وسبب للهاجسِ المشبوبِ في صهد الحنايا الضيقة
يتوقُّ للإبحار والمغامرة
تسألني،
تسألني،
تُطرني الأسئلة المُحيِّرة
ساعتها عرفتُ يا صغيرتي، عرفتُ
القطَّةُ المناورة
تخطَّت السياجَ نحو العاشرة!

* * *

عيناك، حيثما أكون، واحتانٍ من أمان
شعاعتانٍ من حنان
سحابتانٍ بالهوى سخيتان
عيناكٍ حيثما أكونُ، تغسلانِ قَبْحَ هذا الزمنِ الرديءِ

وتمسحانِ عنِ مرآيائِ عناكبِ النفوسِ الصّدئةِ
وتدفعانِ كى أخوضِ فى الزحامِ والمناكبِ
وغابةِ الأظفارِ والأنيابِ والعقاربِ
من أجل أن أعودِ غانماً،
لوجهكِ الوضئِ
مشتعلاً بالفضبِ النبيلِ
والأملِ المقاتلِ الجرئِ
فى موعِدِ لِفَرَحَةِ الإنسانِ!

* * *

وردتتا تفتّحت، والعطرُ فاحٌ
يا أهل هذه المدينةِ السّجينةِ العينيّينِ فى الإطراقِ
انتبهوا،
فموكبُ الربيعِ مرّ تحت دارنا
مكتملاً البهائمِ والإشراقِ
تفتّح التّويجُ فى زُهيرةٍ مُلونةِ

وانسكب الرحيق فى مراشف الثمار
وحلقت نجيمة فى أفق المدار
تبت سرّاً شجوها إلى ضفائر الرياح
وهى تضم صدرها فى لهفة العناق
على تميمة يصونها الغد المثل للصغار
والفرحة التى تخلفت عنا وعن نهارنا
عادت بساتين وعطراً وأراجيح منى
يا أهل هذه المدينة المشدودة الأعناق
فى قبضة الزحام واللقاء والفراق
الليل نورّت لنا دروبه الفساح
والقمر الذى على شباكنا انحنى
مردداً تغريدة السنّا:

رنا^(١)

رنا

فتشرق العيون بالأشواق!

(١) رنا: ابنة الشاعر.

حبة رمل

كانت حبة رمل تفتى، تائهة في قلب الصُحراء
تلفحها الشمسُ،
ويقتلها البردُ
وتطمسها الأقدام السارية بليل البیداء
تتلاصق في وُحدها
وتتقب في حبات الرمل الأخرى
تسأل عن سر يطوى في بطن الغيبِ،
وعن أنباء:

ماذا يحمل هذا اليوم القادم بعد زمان القهرِ،

وطول الجدبِ،

ووجه الوحشة والظلماء؟

ماذا يحدثُ حولي؟

فالكون، جميع الكون، يمجُّ،

وحولى ترتجُّ الأرجاء

عرسٌ فى الأرضِ،

وأنغامٌ تشدو

وبسمى تهنزُ الأصداء

أسمع:

هذا شجنُ النايِ،

وهذا بوحُ النخلِ،

وهذى وشوشةُ الأنداء

وأنا العطشى..

يفمرنى الظلُّ،

وأستلقى فى قطرة ماء!

* * *

يتشقق وجهُ الأرضِ

وتشرق نبتة نور،

تصبحُ شجرًا،

تصبحُ أغصانًا وثمارًا وأمانًا

ويفيض على الكون الغافى وجهٌ أسْمَى

يتفجرُ أنسًا وحنانًا

وفؤادٌ عرف اليُتم

وذاق الحُزنَ،

فأقسم لا يترك أحزانًا

نتأملُ جلوةً موكبه الأسنى

ونطالع كيف يذوبُ القلبُ الوعرُ،

وكيف يرقُّ الجبلُ الصلْدُ

وكيف يصيرُ الوجهُ القاسى إحسانًا

تتماوجُ في الأعماقِ خيوطُ الحبِّ،

وتفصحُ عن عروتها الوثقى

تصبحُ خَيْطًا مشدودًا

نبضًا يتجسّدُ إنسانا

هذا سمُّكَ،

هذي خطوتك الأولى،

تساقُ على الأرضِ الظمأى

وتبارك فيضُ النورِ،

تجلّى فوق شعاب الدنيا إيماننا

ساعتها،

تَعْنُو لهُ جباه

الخطو حياة

والنبض صلاة

والنظرة ترتدُّ وتدعو:

يا الله..

يا الله..

* * *

يجمعنا يومك،
حين نُجِيلُ الطَّرْفَ، ونبحثُ عنَّا
عن صوت حقيقتنا الخرساء
نتأملُ فَجَرَ النورِ،
ويومَ الأسرى،
والطُّلقاءِ!
ورجالا من حولك صدقوا
كالشهبِ يقينا ومضاء
وملاحم كانت شرف الحقِّ
يُروى بدماءِ الشهداء
وسيوفُ الله بأيديهم
تلتمع ثباتا، وفداء
يفجؤنا أنا نحمل سمَّ الوجهِ،

ويغمرنا عبقُ الأسماء

نتنسبُ إليهم؟

كيف؟

وهذي صفحتنا ..

نعرضها في صفحتهم: أرضٌ وسماء.

حبّاتُ الرملِ تُطالعنا

وتُواجهنا

قدرًا يترصدُّ وقضاء

الأرضِ الحبلى تأنفُ أن تحملنا

حتى نجعلها طاهرةً،

تتفجّرُ قُدسًا ونقاء

يتدفق فيها نهرُ الإيمان،

يُروينا عطشى، وظمأءَ

ويُجلجلُ فيها صوتُ الحق،

مآذنَ تعلو شمَاءَ

وَنُسَلِّمَهَا لِقَدِّ يَأْتِي
أَرْضَ نُبُوَاتٍ
لَا أَشْءَاءِ

الليل.. موعدا

هو: يعلمنى الليلُ أن الضياء الذى نترقبُ

لم يأت بعد

وأنا قطعنا المسافاتِ عدواً

وفى الأفق وعد

هى: متى نتألف والليل،

نصبح بعض نجاواهُ

أو بعض أسرارهِ؟

هو: متى نتعانقُ والفجرُ

يحملنا العمرُ إلى نبع تياره؟

هى: بداخلنا يشرقُ النورُ،

فلننتجهُ للحنايا

ونمضِ وراءِ الزوايا

إذا أعتَمَ الليلُ، حلَّ ضياءُ القلوبِ

فصارتِ شعابُ النفوسِ مرايا

هو: يُعلمنى الليلُ شَيْئَيْن: أن أنتظر

وأن أتأملَ لحنَ الوجودِ،

وصممتِ القمر..

هى: تطلعتُ: هل آن للضوءِ أن يحتجب!

وأصفيتُ: هل آن للبوح أن ينسحب!

وينثال فى القلب دمع السحب!

* * *

هو: سؤال.. جواب

وتمضى الحياةُ بنا لهفٌ واقتراب

وآنا رحيقُ،

وآنا عذاب

هى: نعود إلى الليل، نضرعُ من كلِّ أعماقنا .

ونترك عصف الشجون على بابنا

لعلَّ صباحاً يجيءُ يُدثِّرنا بالأمانِ

ويحملُنَا،

ويضىءُ لنا كالشهاب

هو: هو الليلُ: بابٌ وباب وباب

وسرٌّ سيُفضى بنا للمدى

ويفمرُنَا بالرحيق المذاب

نظلُّ نُرَدِّدُ:

يا أيها الليل: هذى صلاةُ القلوبِ الكسيرة

ويا أيها العمر: هذى شعاب الدروب المريرة

ويا أيها الحلم: أطفئ شعاعك فى كلِّ صورة

* * *

هى: ستسألنى عنك ساعاتنا

وتسكبنى فيك أوقاتنا

وقلبى صلاةً،

ودمعى ابتهاال

هو: سيجمعنا الصفو:

صفو الجمال، وصفو الكمال

وينثرنا الليل: فوق الروابى

وفوق الذرى والظلال

هى: وفوق الهجير الجحيم، تلظى

ودبت أفاعيه تحت الرمال

هو: معاً نحن، فانطلقى يا صلال

وهبى زوابع ليل الجنون

ركاماً يسد عيون الزوال

ويتركنا للمصير المُحال..

هى: معاً نحن، أى رضاً وامثال!

وأىُّ تحدُّ،

وأىُّ انعتاقٍ

وأىُّ انثيالٍ!

فأجمل صفو الليالى هوئى

يجىء على غفلةٍ وارتجال

هو: ومادام فى القلب صوتٌ يُردّد

وفى مُقبلِ العُمرِ عُمرٌ تجدد

فأهلاً، وإن لم تجىء، يا صباح

وأهلاً،

وإن جئتنا،

يا رياح (١)

(١) مقاطع من النجوى الشعرية الطويلة «الليل موعدنا».

ترنيمۃ للنور

عند بابى يستريح الظلُّ من نار الهجير
ويرفُّ العطرُ،
مسكوباً على خدِّ الزهور
وتطوفُ الروح نشوى
سبحت فى فيض نور
عانقت صفو الليالى
فى مدى الكون الكبير
وبأعماق الضمير

رعشة تنساب في كل صلاة

وهوى يملأ نفسي بهداه

وضياء،

آه كم يحلو سناه

وهو مسكوب ندي في الصدور

سرّه يسرى،

كما تسرى العطور

* * *

هزني رجع الصدى، يكسو المدى

فتسمعتُ، وأصغيتُ ملياً

إنه الكون الذي قد أنشدا

يرسلُ اللحن شفيفاً وندياً

كلُّ شئٍ يتكلم

مُعلنًا مكنون سرّه

(٦م - يقول الدم العريى)

كلُّ طيرٍ يترنم
والتسابيحُ بذكره
فإذا الكونُ صلاةً ونشيدُ
وإذا اللحنُ شجىً وفريدُ
وإذا العمرُ . وإن طال . جديدُ
والأمانىُّ التى ضاعت تعودُ:
«يا ضياءً يتجلّى
وشعاعاً قد أهلاً
ها .. فؤادى يتملّى
فاستبقْ أهلاً فأهلاً
يا رحيقاً يتقطرُ
ونداءً يتعطرُ
ها .. فؤادى يتتورُ،
بضياءٍ قد أطلا»

* * *

لا تغيبى يا أماسى الشعاع
لا تضيعى،
عندما يطوى الشراع
إنّ فى صدرى رُؤى لم تكتمل
وبقلبي صبواتٍ واندفاع
لاتغيبى،
قد سكنا فى رحابك
واسترحنا لرحيق من شرابك
وسكنا العُمرَ غضاً فى إهابك
وتطلعنا لينبوع شبابك
فاملئنا بضياء.. لا يغيب
واحملنا نبضاتٍ فى القلوب
واجعلى منا، ومن أشواقنا
أملاً، يشرقُ فى كلِّ صباح
وهوى..
يسكنُ فى سرِّ الرياح

جلوة ليل

كان طريقي يحملُ خطوي، ويقرّيني
وأنا أتلفّت بحثاً عن نور يقيني
وأطلّ الفجرُ، فقلتُ: الآن وصلتُ،
الآن عرفتُ،
الآن أروى أشواقي وحنيني
لا قيتك عند ظلال الأفق
وكان الموعد ساعة تصفو الروحُ
تشفُّ،

وتكشفُ عن جلوتها
عمقِ نفاذِ شعاعِ بصيرتها،
فتغادرُ طينةَ حيرتها
وتُسبِّحُ في فلكِ الملكوت
خُطواتي تسرعُ نحو النور
وشراعي في اللجّة منشور
والقلبُ الواجفُ يُؤويني!

* * *

حدّثني الليلُ عن الأسرارِ،
وعن مكنونِ حكاياته
ولواعجِ نفسٍ ساهرةٍ تغتسلُ بدمعةٍ أحزانه
يساقطُ فيضُ النورِ بدربي
ويضيءُ حناياي
تتلاصقُ نفسي في نفسي
ويُغرّدُ طيرٌ في قلبي

يحملنى الليلُ، ويأخذنى فى بستانه
هذى نجمةً حبُّ تتألق
أقطف من شجرات الليل
ثمراً مسكوناً بالحكمة
أسبحُ فى ملكوت الليل
حتى أتلاصق فى شطآنه
ونداءً الموجهُ يُغوينى!

* * *

يذكرك القلبُ ولا ينساك
يا نجمَ الليل المتوحد
لا تغلق بابك فى وجهى
فأنا ملهوف للقاك
لا تبعد طيفك عن أفقى
فأنا أنتظر عطاياك
يا وجه الليل المتفرّد

يا صوت الليل المتردد
يا حزن الليل المتجدد
الأرض حدوداً لمراياك
والنفس وعاءاً لحكاياك
يا نبع الرؤيا والإلهام
وجناح الجلوة، والأنسام
ونداء الشوق المتبدد
إنى والعمر على بابك
ظماً موصول
والفيض الغامر يدعوني
لهوى مأمول
يا نجماً يلتمع ويخفى
وشعاعاً يقرب ثم يغيب
من أى سبيل تأتينا
وبأى رداء تكسونا

فتضىء عيونُ ليالينا
وتُبددُ عن ليلي الخوفا
يا فيضُ النور أضىءْ دربي
عطرٌ دنيای
يهواك القلبُ وينتظرك
يا سبرٌ هوای!

زيت ونيران

خاشعاً،
أسترقُ الخطو،
إلى الباب اتجهتُ
حاملاً أمسى ويومى،
وغداً منه اقتربتُ
وعلى وجهى صلاةٌ فى ثناياها سكنتُ
وتسابعُ عميقاتُ برؤياها سبحتُ
غمرت نفسى،

وفى درّب أمانها انطلقتُ

ساريا،

أحتطبُ الوهم،

كأنى ما سرّيتُ

وأرى قبضة أيامى عبثاً قد حملتُ

وإذا نورك يدعونى..

وللنور مضيتُ

آن أن أنفضُ زوراً،

فى مهاويه انجرفتُ

آن أن أقصد باباً

طالما عنه نأيتُ!

* * *

ومضتُ

وانفتحَ الدربُ وضيئاً،

فعبرتُ

عالمٌ، سمَّحُ الأسارير، طوانى
فانتشيتُ

ويدٌ، فى موكب البشرى أشارت
فتبعْتُ

وخطى تتثال كالأنغام فى صدرى
سمعتُ

ونشيدٌ ساحر الإيقاع غنى،
فطربتُ

موكب بالمجد طوافٌ طوانى
فصغرتُ

صولجان الدين والدنيا..

وسلطانٌ..

وصوتٌ..

ويح نفسى..

كلما طالعتُ آبائى.. خجلتُ!

* * *

ظامئاً،

جئتُ إلى النبعِ المُصَفَّى،

فارتويتُ

ذكرياتٌ من عبيرِ الحقِّ فاحت..

فانتشيتُ

وثمارٌ من جنى الرِّضوانِ وافت..

فقطفتُ..

وحديثُ يقطرُ السَّحْرَ

من السَّحَرِ رشفتُ

ورُضابٌ هوّمتِ نفسى فيه

فسكرتُ

فهو نورٌ فيه سرتُ..

وهو فيضٌ فيه تهتُ

وهو سرٌّ..

إن أقلَّ أخفى من السرِّ.. صدقتُ

وهو برقٌ من سنا الإيماض.. وافى
فانتفضتُ ..

ودعاءً.. كم تذوبُ النفسُ فيه..
إذ دعوتُ

ونداءً من حميا الروح،
لا يحدوه صوتٌ..:

نحن فى يومك، لا نحنُ..!
ولا بيتك بيتُ!

نحن فى يومك:
تاريخٌ..

وتذكارٌ..
وفوتُ!

نحن فى يومك..
أحزانٌ عميقاتُ
وصمتٌ..!

نحن فى يومك..

إعصارٌ..

ونيرانٌ..

وزيتٌ..!

نحن فى يومك.. نأزُّ

يمسحُ العارَ

وموتُ!

هتلك

الأعمال الشعرية ج ٢ - ٩٧

﴿وَرَأَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ
هَيْتَ لَكَ﴾

(سورة يوسف، الآية ٢٣)

انتساب

هيل: انتسبوا

قلنا: ننتسب إلى الماءِ

الشمسِ

الريحِ

البركانِ

هل ينتسب الحطبُ لغير النارِ،

وهل تنتسب الأرض لغير لصوص الأرضِ،

وتنتسب الجرذان لغير خزائن بيت المالِ،

وتتسبب الحملان لغير الذؤبانِ
وينتسبب الأفاكون لغير السلطان؟

* * *

قيل: اعترفوا

قلنا: أجرمنا في حقّ القوم،
فلم نُظنّب في القولِ،
ولم نظفرّ ببراعةٍ أيّ استهلالٍ
لم نعرف كيف نُفرّق بين الصفوة والسّوقة
بين الأمرأءِ الخُلصِ، والأجراء الأعوانِ
بين بُغام الطيّرِ،
ونفخ دعاةِ الأبواقِ
فخلطنا الأوراقَ
وخالطنا الأسواقَ
ولم ندرك معنى أيّ سؤال
لم نكسبْ غير الأعداءِ وغير الأرزاءِ

فى زمنِ آفتهُ النسيان!

* * *

قيل: انصرفوا

قلنا: لن نبرحَ هذى السَّاحةَ،

حتى يندحر الإفكُ

وحتى ينبلجَ الفجرُ

وحتى ينتصبَ الشعْرُ

ويعتدلَ الميزانُ!

هت لك

أتدفأ في ذاتي
أسمع قعقة، وأزيز رياح محمومة
أدرك أن عظامي عريت مني
جلدي يساقط مسموما
لحمي يتناثر من حولي
يتخطفه طير جارح
وعيون تُشب في مخالبيها
والفة تهش أحشائي

الليل المنهمر الساقط
عينا بومة
وأنا مقرر
انتظر بُراقا لا يأتي
وتأوب ضليل نازح
وصهيل حصان يركض في أوردتي
يلسغني الوقتُ،
ويخذلني قلب مذعور
في موقف بثى وشكاتي
أسند جبهتي المهمومة
أتواري خشية مرآتي
تتاكل ذاتي في ذاتي!

* * *

أحكمت نوافذ كانت مُشرعةً في وجه الريح
غلقتُ الأبوابَ،

وأرخيتُ ستائرَ،
مستحّتُ الجدرانَ
وأشعلتُ النيرانَ
وقذفتُ بنفسى فى اللهب الجامح
وهتفتُ لِنفسى: هتت لكِ
الآن أمنّتُ،
الآن تدفّأتُ
فليعصف موج البحر المتلاطم
ولتطلق كلُّ الأحزان قذائفها الثلجية
ولتعمّو الریحُ،
وتتهزمِ الأشجارُ،
ويجمدُ فى النهر التیارُ
وتتهدمِ الدنيا
ما عاد يهَمُّ!
مادمت حبيس القلعة، والأسوار

أتدّها في ذاتي

* * *

عبثاً تتشدُّ ما ليس يُنال

والزمنُ المعطوبُ سؤال

يبحث عن معنى

نتقاذفه ..

يتقاذفنا ..

نحمله .. أو يحمانا

طللاً مسكوباً فوق رمال

وحراب الرعب تطاردنا

تثقب ذاكرةً،

تاريخاً،

سأماً،

قلماً،

تُمعن فينا فتكاً ومصاولةً

ولجّاج جدال

نتحسّسُ في الجنّين نصالاً فوق نصال
نتساءلُ:

هل هو هذا الزمن المزعوم لنا؟
نلعنة!

أم نبيكه!

العمر يصبُّ بنا في التيه

يجرفنا مدُّ التيار

وتحرقنا لغةُ الأشعارِ

ونحن نحاول مُلكا

نساقتُ هلكى

تمو فينا شجرات الحنظل والصبار

تثمرُ سفّاحين،

ومأجورين،

ومنخوبين من الإعياء

ورجالاً أشباه رجال

يشطرننا هم كوني،

وغدٌ محتال

يدفعنا وجه مشبوه

- لمن أو صعلوك أو داعية أو زنديق -

يُدخلنا مسرح مأساة إغريقية

نتلبس في الحال شخوصاً ومشاهد رعب مُختلفة

وفضاءً تسكنه الغربان

يصرع قرناً قرناً

يطحن حزنٌ حزنًا

يفتك كلُّ أخٍ بأخيه،

ويعلن أن الحق غريبٌ، لا يعرف أهله

لا ندرى مَنْ في فلك الشيطانِ

ومَنْ في حزب الرحمنِ

وأىُّ الناس يُحكّم عقله!

فالساحة هدى ومضلة!
والموت مسافة بوح
ومساحة جرح
وفجاءة رحلة
جزرًا تتباعد في ثبج الطوفان
وتفرق في موج الأحزان
وترفع شاهد مقت ومذلة!
يا من يُغريه الوقت وتدفعه الساعة،
يتلصصُ حوله
كى ينأى عن زمن هالك
أو طعنة لص فاتك
ولى زمن النّفطِ
وجاء زمان القحطِ
وصار القرصان مظلة!
عبثًا تتدفأ في ذاتك
أو تنجو يومًا بحياتك!

هلوسة

وأمدُّ عصائى،

الكلماتِ المحتقنة فى صدى الأسر

وأشيرُ إلى طير ما زال يُحلَّقُ

رغم سماء قد لوّثها غضبُ الأرضِ

وجوع الخلقِ

وزيت الأوهام المحترقة

لكنّ الطائر يعرف وجهتهُ

الريح تشاكسه

ودخان الرعب يسدُّ مسالك رثيته

ويختنق، ويمضى

غايتهُ في أقصى الأرض، وفي قرص الشمس
من كلِّ ثقوب الدنيا يندفع الطائر، ينطلق الشعر
هو ذا منسكبٌ

يتلبّسنى

أتلبّسه

حالات، وقوامًا، وشواغل

يتدافع موجٌ وحشىٌّ، يحمل من أصداف البحر
ويخلط في لؤلؤه بعض حصاه وميرات الأيام الأولى
المح جمجمة سقطت من جندي لم يعرف من أين أتى
ماذا كانت وجهته
وقضيته

حين يموت ويصبح بعض طعام للحيتان

وبقايا هيكل ديناصور

تمسك ببقايا بارجة رنقها الموت
عالقة فى بعض طحالب مرجانية
سكبت فى العلى اللاهث بعض أجنتها
تفرخ فى زمن يأتى، لا نعرفه،
رُعبا يسطو

أو موسيقى تغسل طينية هذا العالم

ورمادية هذا الإنسان

وتعيد إلى اللون الألوان!

محترقاً أبحر،

طيرا مجهولا يبحث عن سقفٍ

فى معبد أول مصرى قد أدرك سرّ الله وسرّ الكون

فحنى، من فوق الوادى، الرأس الشامخ

وانزلق بأحضان البركة

يفتسل، مياه النيل مقدسة،

وسراب الأفق يُشاغله،

والقلب عليل

أغمس صدرى فى بعض روائح منف

أستاف عبيراً من طيبة

نفساً يأتى من حضن البر الغربى

يؤجُّ عبير ملوك الشمس

أرحلُ فى زمنٍ منتكسٍ

محترقاً، أقبض جمر السَّيْلِ

وأصفى لحصى يتدافعُ

لا ألمس عقداً فى صدرى

أو أتمثل حادثة يفرق فيها اللؤلؤ فى ثبج الموج

ولا أعقدُ ظلَّ مقارنة بين الشاخص والمتبدد فى

تلك هيولى تبحث عن خالقها

وكواكب تفضى لمدارات محترقة

ورماد يكمل دورته فى الجسد الحى

وأنا -

يتمزقنى خَلْقٌ محكومٌ

بإسار السرِّ المختومِ

وتوجعنى آهٌ مختنقة

حين يفور بأضلاعى جوع جارف

لظلالٍ راحت تتكسرُ فى أحذية الجند

تتكسر رؤوس العشبِ

وتهوى أعواد اليقطينِ

وتفرخ أحزان نيلية

حتى يستحضرنى الحاجزُ

يُمسك بى

هأنذا بعض ظيور الزينة

مشدود السّاق إلى قاعدة خشبيّة

محمول حيث عيون الناس تطالع فى جَمال الموتِ

وسرِّ الصمّت

فى بيت عصرى مشهود

أتأمل ما يساقطُ من فضلات الحفل
يلقيها مَنْ أتخمهم زخم المائدةِ
وأغراهم جاء السلطان
وأنادى فى صوت مكتوم:
العصر مُدان
عجّل بالرشوةِ،
فالأيدي حولك مُمتدة
واحمل قنبلة موقوتة
قد تتفجر وأنت قريبٌ
أو أنت بعيدٌ - سيان!
العصرُ مُدان
أخرج للسوقِ،
وخلّ الصدر العارىّ يستقبلُ عنك سهام القومِ،
ويُبجر فى الأحزان
واشخص بالقول ولا تتردد

ليس على المجنون حرج!
فاغنم هذى اللحظة،
قد لا تتكررُ أبدا
واحمل سيفك،
ليس لما ترجوه ضمان
أحذيةُ الجند على سهواتِ الناسِ
فقيم مُبارزةُ الفرسانِ؟
وفيم ملاطفةُ الحراسِ؟
وفيم مُلاعبةُ الأعوانِ؟
والراكب، لو يدرى مركوب!
أطلق شكواك.. الدارُ أمان
مثلك لا يُغيريه الوقتُ
ولا تفتته صاحبةُ الإيوان!

القصيدة والرعد

كان بين القصيدة والرعد تأرُّ قديمٌ

كلُّما نَزَفَتْ بَوْحَهَا

لاحقتها سَنَابِكُهُ بِالغَبَارِ الرَّجِيمِ

فَتَهَاوَتْ عَلَى دَرَجِ الْأَرْجَوَانِ

مُضْمَخَةٌ بِالْأَسَى الْعَبْقَرِيِّ،

وَدَافِنَةٌ هَمَّهَا فِي انْعِقَادِ الْغَيُومِ

الْقَصِيدَةُ، بَاكِيَةٌ، تَسْتَجِيرُ

وَلِلرَّعْدِ مَطْرَقَةٌ وَزَيْئٌ

ودمدمة،

وفضاءً حميم

وانتشاءً يخامر كلَّ الذين يُطلُّون من شاهق الكونِ،

يملكون المدى والتخوم

القصيدة ها.. تتناثر كالذُرُّ

سابحة في هياولى السديم

تتفتت ذائبة في عروق الحجارةِ

في غرَّينِ النهرِ،

في جذع صبارٍ..

شوكها من حروف الشقاء النظيم

ثم ترتاح من وحشة في العراءِ

ومن شجنٍ في الدماءِ،

فتأوى إلى الليلِ،

ساكبةً دمعها

في عيون النجوم!

* * *

القصيدة، شاخصةً، تتساءلُ

وهي تطلُّ على الكونِ..

أىُّ بلاءٍ عظيمٍ!

ترصدنى الرعدُ

حتى انطفأت

وأوشكتُ أذبلُ

أوشكتُ أرحلُ

رعدٌ يُباغتنى

قلت: خيرٌ سيأتى

ودنيا ستُمطر..

لكنه انجاب.. رعدٌ عقيم!

هل أجاريه قعقة؟

الوجود ضجيجٌ

له لغة من رمادِ المداخنِ

والأفق كابِ دميم

فجأة،

مثل ومض الشهاب

ووقَّع النبوءة في القلب،

ها،

يتكشَّفُ لى بارقٌ.. لا يريم!

لا تخافى من الرعدِ،

وانطلقى بالغناء،

الغناء الذى يتخلَّلُ هذا السَّدِيم

لا تخافى من الرعدِ، لا

إنه زمنٌ عابِرٌ

والقصيدَة فاتحةٌ..

وزمان مُقيم!

اعتذار..

ليس ما نَحْمَلُهُ اليَوْمَ.. سَهَامَا
إِنهَا أَوْسَمَةٌ،
جئْنَا بِهَا مَعْتَذِرِينَ،
بَعْدَ أَنْ فَاتَ الْأَوَانَ
لَمْ يَعُدْ يَبْرِقُ فِي الْكَفَّيْنِ رَمْحٌ أَوْ سِنَانٌ
وَاقْتِتَالٌ،
وَاحْتِرَابٌ، وَطَعْمَانٌ..

* هي وداع يوسف إدريس

حسَمَ الموتُ اصطرَاعَ المنكرِ

حينمَا ضنُّوا عَلَيْكَ

عشيتَ أعيُنهم دونكَ، لم تُدركْ مَدَاكَ

وامتلا القلبَ المجاهي لكَ نُكرَانًا ونقمةً

فاغفرَ اليَوْمَ لهم، لم يعرفوكْ

لم يرواْ أبعدَ من أقدامهم، حين انطلقتْ

عاريَ الصدرِ، جريئًا، نازفًا

تتلاقَ سهامٌ، وحرابٌ، ونصال

تتواري، كلُّمَا حدقتَ، أشباهُ الرجال

تتخطأكْ حتوفٌ،

ويُجاريكْ انفعالٌ..

رافعًا ببيرقكِ العالِي، كالنجمِ المضيءِ

تطلبُ القمَّةَ،

من غيرِ شبِيهٍ، أو شريكِ!

* * *

أيها الضاربُ في ليل الكتاباتِ،
وفي ومض العذاباتِ،
وفي همُّ البلد
باحثاً عن جُلوة العقل التي تسطعُ،
والحلم الذي يركعُ،
والفيض الذي يُعطي المددَ
كم تاكلتَ!
سري جسمك فينا،
شجراً يورقُ في أوصالنا
عُشْباً ندياً، حارقاً
ونسيماً .. لافحاً
كم كان يُغوي عاشقيه
ثم تنقضُّ يدٌ مقتحمة
لم يزلْ يأسو
ويكوي الجرحَ في آنٍ ..

يعرِّينا،
ويكسونا
ويُلقي حُممه
واقفاً بين انتماء القلبِ والروحِ،
وعدوي الموتِ والغفلةِ،
مصلوباً
علي وخزٍ سطورٍ مُفعمة!

* * *

عجياً،
كيف ائتسنا بك،
حتي لم نعدَ نذكُرُ يا مُقلقنا،
معني القلق
فاسترحنا..

للذي يأتي ولا يأتي
وداويننا هُزالاً، بهزال

أُتْرَاهُ سَمْتُكَ الْحَانِي احْتَوَانَا

هَفْغَرْنَا صَوَّلْتِكَ؟

أَمْ تُرَاهُ صَوْتُكَ الْمَنْذُورُ،

لَمَّا اكْتَمَلَتْ أَصْدَاؤُهُ فِينَا

تَوَارِي..

فَاسْتَبْنَا صَرْخَتَكَ

وَعَرَفْنَا حَكْمَتَكَ!

كَيْفَ أَسْلَمْنَاكَ لِلْقَهْرِ الَّذِي يَفْتَالُنَا

وَنَسِينَا أَنَّ هَذَا الْجِبَلَ الشَّامِخَ،

مَاءٌ وَرَمَالٌ!

عَصَبٌ عَارٍ

وَأُوتَارٌ،

وَجُوعٌ،

وَسُؤَالٌ!

كَيْفَ مِنْ نَفْسِكَ لَمْ نُشْفِقْ عَلَيْكَ؟

وتركناك مع العمر المدمي
سائراً، فوق نريفٍ واشتعال
عجياً،

كيف اثتسنا بك في ليل الكآبات الثقال
فخذنا

عندما طالعنا ذات صباح
سارياً في لغة الأرض،

وفي جذع السماء
أفقاً محدودباً يحنو علي أوجاعنا
وجمالاً

غاب في أوج اكتمال!

محاولة لاصطياد رامبو

طفل نزقٌ،

كرةً من لهب،

وعل برىٌ،

يركض فى عشب الغابات المحترقة

ومدى يتخطفه اللع،

ومجهول يتقصّف،

يفصح عن لغةٍ نافرةٍ

تقفز من رئةٍ مختنقةٍ

طفلٌ في ملكوتِ الله
يعاين بعض فساد الكونِ
فيقذف وجه الليل بسهمٍ
يَشْهَرُ قبضته في وجه الريحِ
ويسحب نفساً ممصوصاً
وتصوغ أصابعه كونا من كبريت
وحقولا من الغاز
يَفرغ من لُعبته،
ويُحدِّق في الوحشة
فتلاحقه أشباح سودّ،
وجحيمٌ ضارٍ،
وعيون وحشية
يتسلَّق أعلى سارية
ويطلُّ على أفق مخبوء
ويحذّر من هول الآتى

ترصده عين مخترقة!

* * *

هو ذا

يمسك قلما

يشطب تاريخا

يكشف عن شهوته للوطءِ

ولمس تخوم الكونِ

ترتطمُ حدود الأرض وتهتز الجغرافيا

ما بين الساقِ إلى الساقِ

تعومُ القارّاتُ

وتتبطحُ الصبوات

وتألقُ الجلّواتُ

ويسطحُ فى الزمن المختلِّ بهاء العقل

ها أنت يُراودك الإغواء

تسكنك النارُ الوحشية

وتصبُّ حريقكُ في الأشياء .

يتطاير منك رمادُ شرقى

شَبَقُ مجنون الأعضاء

تَلْقُهُ الأرض على استحياء!

في أى الأوقاتِ

تدورُ على نَفْسِكَ

لا تتجاوز؟

في أى بقاع الدنيا

ترسى المرساةَ

وتُقمى،

لا تتقافز؟

في أى الحالاتِ

تقول: الآن وصلتُ

الآن عرفتُ

شِيعتُ،

وَأْتخَمْتُ،

وداهمنى الإعياء؟

الصبوة لا تسلّم إلا للصبواتِ

وجوعك مرهون بالموتِ

وهذا الحائط لا يفيض إلا للصحراء..

فقيم العجلة؟

خفف هذا الوطاء

وإلا حرّكت الأشلاء

ودبّت روحك فى شجر الزقومِ

وجاوزت الحدّ إلى الفعل المرجومِ

فأفسدت السّاكن فى ملكوتِ الله

وأيقظت نفوساً عمياء!

* * *

طفلٌ أبى

يقفز من شرك الكلماتِ

ولا تُغويه بلاغتها المسكونة بالضوضاء
هل نُنصبُ فخاً شعرياً لأميرِ فخاخِ الشعرِ
وهل نُنجحُ في صيدِ الوعلِ البريِّ،
وكرةِ اللهبِ المُرتجّةِ،
وخريرِ الماءِ؟
جزرُ المَرَّجانِ تلوحُ
وعشبُ الكلماتِ يفوحُ
وطلحُ إثيوبيِّ محترقُ
يتراكمُ في نهرِ مسفوحِ
وشراعُ يُبعدُ في اليمِّ
فراراً من أسنِ الكوّنِ
وجذبِ الروحِ
وتوقُّ للمجهولِ..
يراوغُ .. ثم يراوُدُ .. ثم يبوحُ
وزمانِ بالوصلِ شحيحِ..

رامبو..

إخصابٌ تحمله الريح!

مكان ضيق القلب

نهضتُ من نومها،
واكتست وجهاً جديداً للصباح
ها هو الوجه المراوغ
ينتقى أغلى المساحيق، وأبهى الأقنعة
عَلَّه . قبل طقوس الذَّبْحِ .
يستدنى رجاءً ضارعاً منك
وتصديقا لما يحدثُ
فالعِيبُ ثَقِيلٌ

إنها تعرف ما تصنع
ما سوف تقول
فليها ألف عذر يقتل الوعد،
وألف من أعاصير الفصول
سوف لا يستغرق الأمر سوى لفضة: «لا»
وهى تهوى مثل سكين تجول
وهى لن تفتح بابا للحكايا والفضول
حسبها أن ردَّت «لا»
وانتهى الوقت المتاح
فلماذا وقفة العاتب يا قلبى
وإطراق الذهول
ولماذا لم تزل تسأل
والعمر قصير وبخيل!

* * *

وانطوى يوم جديد

لم تمت،
مازلت حياً يتعابى
آه، لو جرّيت أن تُغمد فى الصدر البقايا
لاسترحّت
ولعدت الآن من وهمٍ تصبّأك إلى الدنيا البعيدة
والمدى المفتوح فى وجه النهار
لمكان ضيق القلب،
وحزن جارف المدّ
وظلّ يحتويك
عدّ إلى الكهف الذى يعتمُ فىك
واسكن الظلمة والوحشة، والصمت البليد
واستعدّ وحدك تاريخاً من القهر العنيد
إنها نفسك، فاسكنها،
ولا تبحث لميراثك فيها عن شريك!

* * *

عبثاً ينسيك «لا» وجهه «نعم»
عبثاً تنهض من كبوة حلمٍ لم يطل
حين داسته الخيول الراكضة
وتلاشى في سحابات الغبار
إنه الجرح الذي يمتد في الغور ويمتد
ولا يدري أحداً!
فتماسك..

واتد في خطواتك
واحتمل وقع الذي يأتي من العمر ويمضي
دون أن تحفل فيه بانتظار
ها هو الوجه الذي أدمنت
مبسوط على الدنيا
فلا مهرب منه أو فرار
ها هو الليل الذي واجهت
أخدود عميق الجب، من غير قرار

ها هو الحلم الذى طارَدَتْ..
تاريخ مُدْمَى، وانكسار
فتعلم..
لا يزغُ خطوك فى الوجه المراوغ
واغتسلْ
هذا هو الضوء -
وفى الأفقِ ينابيعُ نهار!

البحث عن مأوى

يولد من رحم الحلم ويسبقني

يتشكّل،

وجهاً وحشياً،

عاصفة

أو لعنة نارٍ

تشعل حطب الوقت،

وتُشعلني

أتقدم بحثاً عن مأوى

هذي أحشائي بين يديّ

وعُريّ يتقدمني

فلمن أنجاز؟

أهوى شرقاً؟

أهوى غرباً؟

لا ضير..

صراط الرعب يجاذب خطوى

ويدحرجني

تقتحم الكهف شعاعاً نور

فأرى الأشياء تبالغ في إعلان دمامتها

يولد من رحم القهر، ويسبقني

المارد يسحق عشب البید، ويسحقني

أتقدم بحثاً عن مأوى..

مأوى الليل .

وسجّاني لا يعرفني

حتى أحزاني.. تُكرني!

* * *

سَبَقَتْ خَطْوَ الرِّيحِ وَفَاضَتْ عَطْرًا

فَتَنَّتْ أَعْنَاقَ الرُّكْبِ نِشَاوَى

وَانْخَلَعَ الْقَلْبُ لِمُوكِبِهَا

رَاحَ الْحِرَاسُ يَفْضُونَ غَطَاءَ السَّرِّ،

وَيَخْتَصِمُونَ:

لماذا اجتمع الناس؟

وماذا يحدث بين العطر وشجر الليل؟

وأى مؤامرة تُحبك في مملكة العشق؟

وأى ذراع تبدأ في دورتها إذ تلتفُّ

وماذا يسكن في قبضتها؟

سكينٌ تغمد؟

أم لغم يوشك أن ينفجر!

وطلعة فجر تسفر عن جلوتها!

من أعطاهما اللون؟
وصبَّ سلاف النعمة فى زهوتها!
يا حُرَّاس القلعة
يا من تمتحنون الناس،
وتلتمسون لهذا الحفل بطاقة إذن أو تصريح
إنى مدعوً
هذى لغةُ الوجدِ
ولونُ الشوقِ
وآهاتُ التبريحِ!

* * *

عجلُ قبل مغيب الشمسِ
وحظُرُ الهمةِ،
والتجوالِ ..
وادخل شرنقةً تؤويك ..
فكّرْ أنك حين يجيء الليل مُطارِد

هذا شعر الوقتِ

ووقتُ الشعرِ

وبارودُ الأشياءِ

فاسبق دمدمة الزلزال

الآتى يوشك أن يُفلت

يترصد موطئ خطواتك

ينتظر مثولك دون شريك

هل تأذن يا مولاي الشعر؟

أن تجعلنا بعض رعاياك

أن تمنحنا بعض المعنى

تؤوينا أنتَ

وتجمعنا

هل تأذن يا مولاي الشعر؟

إنا بالباب على استحياء!

الزمن الفارب

كنتُ أقولُ لنفسي حين تُراجعني نفسي:

لستِ مجرد وجه امرأةٍ

أتأمل فيه جبروت الحسنِ،

وزهوه..

لستِ مجرد عشٍّ ليليٍّ، أو مأوى

يقذفني نحوك..

جوع، أو برد، أو شهوة

لستِ صحيفة يوم فارغ

أقرؤها..

وأنا أرشف قطرة سم في قهوة

لكنك وجهي الغائبُ

لغتي حين تفوحُ

ونزفي حين يبوحُ

وبعثي حين يلوحُ

فيصبح نشوة!

* * *

كنتُ أقولُ، وأسرفُ، لا أتورّعُ:

حين يسيلُ الفجرُ،

ويسكبُ سجدةً

فتلاحقُ خطوه

أسرعُ نحو بقية ضوءٍ

فرّت منك،

وجاءت تهبُّ الكونَ..

فُجَاءَةً جَلْوَةً
هَأَنذًا أَسْتَدُّ إِلَى مُتَكَأٍ مِنْكَ
وَيَوْمٍ يَأْتِي أَوْ لَا يَأْتِي
يُوقِفُ فِيهِ قَطَارُ الزَّمَنِ الْمَوْحِشِ
عَدَّوهُ

لَسْتُ مَجْرَدَ وَجْهِ امْرَأَةٍ
أَنْتِ بَدِيلُ الزَّمَنِ الْغَارِبِ
حِينَ تَدَاعَى

ثُمَّ تَرْنَحُ فِي كِبْوَةٍ!

* * *

هَذَا الْوَجْهِ غَرِيبَ عَنِي
يُوشِكُ يَطْعَمُنِي ثَانِيَةً
أَوْشِكُ أَنْ أَتَحَسَّسَ جُرْحِي
لَسْتُ غَرِيرًا بَعْدُ،
وَلَيْسَ الزَّمَنُ الْقَادِمُ مُتَّسِعًا

لينا جزنى
وأنا جزه
فتطيش حرابى فى نبوة
لستُ غريباً بعدُ،
وهذا الوجهُ غريب عنى
لكنَّ
هأنذا مُتُّجه نحوهُ!
هذا زمنُ الخطَّائينَ،
وهذا قدرُ المنفِيِّينَ،
لأصفر هَفْوَةٌ
فلأتأملُ
أين خطاي؟
وأين سماؤكِ بعد سَمَايَ؟
وأرحلُ -
عَنكَ

وعنى

وعن العُمر المائلِ في

خُطوطاً،

ألواناً

وروائح

وتضاريسٍ اختلقت

شقت أخدوداً

هذفت حمماً

كسرت قشرتها

فانطفأت روى

وتداعت

في هوة

وتجاعيداً اندلعت..

أتحسسها..

وأنا

أقرأُ فيكَ كتابَ الكونِ

فأدركُ

جدَّ الزمنِ

ولهُوهِ!

صيفيتا

هطلت، فاخضوضل القلبُ الصّدري
أى نُعمى بعد فوتِ الموعدِ
أى دنيا انفتحت أبوابها
وهى تخطو كالشعاع المُبعدِ
أى حلمٍ رائعٍ، أى مـِـدى
أطلقتَه، واختفتُ كالبددِ
أى بستانٍ تجلى ثمرأ
وتهـيأ لقطافٍ... ودَدِ

كَلَّمَا قَارِبْتُ مِنْهُ أَمَلًا

عَرَيْتُ رُوحِي وَلَمْ تُمَسِّكْ يَدِي

* * *

هَطَلْتُ فَاَنْهَلْتُ وَعَدْتُ، مِثْلَمَا

رَفَرَفَ الطَّيْرُ بِأَفْقِ مُوَصِّدٍ

أَنَا ذَا مَكْتَشَفٍ قَيْدِي الَّذِي

حَزَّ فِي سَاقِي وَأَدْمَى جِلْدِي

حَامِلٌ ثِقَلِي الَّذِي نُوتُ بِهِ

وَأَنَا أَرْجُو أَنْفِرَاجَ الْمَشْهَدِ

نَاطِحٌ سَقْفِ زَمَانٍ، ظَلُّهُ

فَوْقَ صَدْرِي جَائِمٌ كَالرُّصْدِ

* * *

أَيُّ بُشْرَى حَمَلَتْ أَعْطَافُهَا

فِي تَجَلَّى وَجْهَهَا الطَّلَقِ النَّدَى

فِي تَشْنِيئِهَا، وَفِي لَفْتِهَا

لِغَةِ الْبُؤْحِ، وَآهَ الْمُنْشِدِ

وبعينيها، وقد أومضتا
رفقة الحلم الكريم المسمد
يا ترى.. تكفى حياة بسطت
وامتدادُ العمر حتى الأبد
لأروى ظمماً، لا يرتوى
واشتياقاً، كاللظى فى كبدى!
يا أوانَ النَّزقِ الحلو اقترب
يا فضاءاتِ الوقار ابتعدى
يا سُّعارِ الرغبة الكبرى اشتعل
وأعدنى جمرةً فى الموقد
واقفت اللحظة، فاخلط زمنى
وامزج الأمس بركان الغد
وأعنى، يالهول الملتقى
أى حشدٍ أرتجى! أو مدد!

* * *

أه لو تدرين ما خلّفته
من حريق خاطر المتّقدي
واندلاع الجوع في صهد الجوى
واشتعال الروح عبر الجسد
فتنّ أنت لقلبي خلقت
وغوايات صبا، لم يرشد
لا تكونى ومض حلم، فلكم
ذقت ليل البائس المنفرد
أنت عندي هبة الله، التي
ليس يدري سرّها من أحد!

عصفورة

من فوق الجبل العالى حطت عصفورة
عيناها وطن في الأستر،
جناحها حلم بالعودة،
أمد ناء كالأسطورة
طارت في بهو القلعة
عبّر السور،
ومن فوق الأسلاك الممتدة
فارتج بداخلها فرح اللقيا

وانطلقت زهزقة القلب
وترًا مشدودًا في الصدر،
وهسهسةً تسعُ الدنيا
عصفورة قلبي، غيبي أو عودي
طيري أو حطّي
سيّان،
فهذا العشُّ قراركِ
هذا القلبُ مزاركِ
حين يفيض القلبُ بما تُعطينَ
تلاحقُ أنسامك صمتي
يتألقُ عزفُ الروحِ
ويهدأ شجنُ الريحِ
يصوصُ نجمُ الليلِ
وتهدأ آهاتُ التبريحِ
وتكتملُ الصورة

فى ومض الجلوة محفورة!
عودى بروائح هذا الحلم،
نسائم بهو القلعة
وجه شرقى القسمات
وصهد يُشعل تتوره
الوجد الكائن يفصح حين نبوح
شعاع الفجر يُلاحقنا
وخيوط العمر الموصول
غيبى أو عودى
هذا عطش القلب يزول
وهذا وجه الزمن يحول
فتقبل دنيا مسحورة
قلبي مشدود ليغنى
واللحن سجين
غيبى أو عودى

العمر قصيرٌ وشحيحٌ

والعش حزين

فمتى تأتينا..

متى تأتينا!

تشكيل

شاخص كالدمى، عالق بالجدار
ظله المرتدى غبطة زائفة
والجبين الذى تُقلع العاصفة
من ثنايا تجاعيده الزاحفة
ناحل فى اصفرار
دمدمت فوقه لحظة كاشفة
فهوى قلبه قشّة واجفة
واستدار النهار

لائذا بالفرار!

* * *

قلت: لا تمتثل، فاستدار الصدى

محكما قبضة في ذراع الرياح

واستهلّ الصباح

سجنه الموصدا

مسدلاً وجهه، حائلاً أسوداً

واستمر النداء

قلت: لا تمتثل

لم يجبنى الصدى

وانطوى غائبا في اشتعال الهوى

ونزيف الجراح!

* * *

للهوى موعدا...

ها أوان البشارة

مثلما غيمة تستهل؛ ائتلاقُ المعانى
ووقع ارتطام العبارة
يا رفاقى الذين استطابوا خيوط المهارة
واستظلوا برشوة هذا الزمان المخيف
وارتضوا سكة لاغتراب الحتوف
واققسام الرغيف
وعدنا قائمٌ...
فالبسوا كلُّ لفظ
واستقيموا وراء الحروف
وابعثوا فى قواديسها خيط ماء
جدبنا شامخ..
والوجود استعارة!

أغنية حب إلى عمان

كانت تشاغلنى...

وكنت أزورها فى الحلم،

تحملنى عيون المغرمين بها

عصافيرُ الحكايا عن مراتبها

ورفرقةُ الحنين لها

ويجرفنى انخفافُ الحرفِ

وهو يصوغُ أغنية التولُّه

دهشةً اللقيا

ويمسح دمة عند الرحيل
ولم تكن عمان للسايرين فى ساحاتها
المتقاسمين عنادها الصخرى،
والحظُّ القليل
الساهرين لومضةٍ تتداح فى مصباحها
المتصعلكين على مساقط فيئها ورمالها
كانت لنا
نحن الذين نشبُّ بالأعناق من خلف الحدودِ
نكاد نلمس باليدين المستحيل
ويشدُّنا عبر الصحارى الشاسعات مدًى
وأغنية لقايلةٍ تفتش عن دليل
وصدًى من الغور البعيد يئنُّ عبر رياحها
ويسيل تحت جراحها العطشى، يسيل
كانت لنا
جبالاً ونارا،

واشتعالاً في عروق الومض،
في زمن التوهج،
موعداً فوق النجوم
وتلّة منها نُعيد الكرّاً
نفتحُمُ الذي لم يأت بعدُ
نروم فيه صياغة الدنيا
ونلتمسُ السبيل!
كانت هي الزمن الجميل،
وكان فينا، أننا فينا أقمنا،
لم نُغادر جلدنا المشدود فوق القهر،
لم نرحل عن النبع الذي يسرى،
ولم نُشغل عن الليل الطويل
ويظلُّ وجه دافئ القسماتِ
مزهوُ الملامحِ
يستحثُّ خطى الإيابِ

يَمدُّ كَرَمَتَهُ لِمَن عَبروا
ويعتصر السنين رضاً
ويحمل فوق طاقتِهِ
شجوناً،
وانكساراتٍ،
ودنيا، مالها أبدأً مثيل!

* * *

كانت تشاغلني فأحلمُ
لا أصدِّقُ أن يوماً قادمًا، تتحقق الرؤيا،
وها

عينان في عمّان أشعلتا رماد العمرِ
فانسكب اللهب على الفتيل
وذبالة كادت تضيع سُدى
وكاد قَواؤُ ومضتها يميلُ
توهَّجت ألقاً

وضجّ الصحو في العود النحيل
هي لحظةٌ،

وتعيدُ عينٌ بوحها

ويفتش العشاقُ عن مأوى،

وتتهمكُ الأماكنُ

مُسرعاتٍ للعناقِ الرَّحَبِ،

والشوقِ الجميلِ

عمانُ في عينيكِ آسرتي

وذاكرتي

وباصرتي

إذا احتاج النهارُ إلى دليلِ

هذا هو الصدر الحفيُّ يضمّني

ويفور في صهد الحنايا ألف عاصفةٍ من الوجد العصىُّ

وتُسدلُ الدنيا ستائرُها على الوجه القبيحِ

وتصبحُ الدنيا لنا .

يا روعة اللقيا
ويا وعداً به يتلطف الزمن البخيل!

حديث اليمامة

عندما سمّيتُ عينيكِ .. يمامة
لم تحدثني النبوءاتُ عن الوعد الذي يُجفلُ،
والقلب الذي يسعى حثيثاً للهلاك
ثم ناديتُكِ،
مسحوراً بهذا الغيِّ،
مأخوذاً بما يعرض لي من نزقِ الوقتِ
ومن هم اشتهاً وامتلاك
وتماديتُ،

فسميتك رفأت جناحي
وإتلاقات صباحي
حاملاً همّ انطلاقي في مدى العمر المتاح
قدرًا يرصد خطوي
وأنا أجتاز أفقا من شباك
لا وعينيكِ
وما تحمل لي جبهة أيامي المريبة
لم يعد غيرك لي مأوى،
لروحي سكنا،
وأنا..

حذرا أخطو إلى موعد صحوي وانتشائي
وأنا أدلف من بين الشرايين، وأرتدُّ
فلا يسعفني نبض حضوري وانتمائي
ذائبا في دورة الحلم الذي يولد حتى يتشكل
طالعا في سنبلات القمح،

أو عيدانِ كَرْمَةٍ
مُشرعاً في جهة الريح التي تعصفُ،
والأفق الذي يُعتمُ،
والقلب الذي ينأى ويثقلُ
ساقطاً ما بين زهوى وانطفائى
ومدى يزداد قبحا وجهامة
عندما سميتُ عينيكِ يمامة
وتمنيتكِ لى، مهما يطلّ بى المنتأى،
وطناً،
ماجت أعاصيرُ القيامة
حجبونى عنك،
دارت بى الفضاءاتُ،
ودُقَّت بيننا الأسلاكُ،
وامتدت زنازين القتامة..
حجبونى عنك،

نزفنى يتخطانى إليك،

راسماً لى أثراً فى الأرض.. ها

موعدا لا بُدَّ يأتى

لحظة أرفعُ فيها الرأسَ

مزهوًّا بخطوى ودمائى

وبأنى فى طريقى لكِ

ميلاد علامة!

انظرى،

ما الذى يحمله الأفق؟

وماذا يحبُّك الليلُ؟

وراء الجبل العالى سحابٌ يتجمع

ودخان يتصاعد

وطيور أدركت معنى النبوءة

حوَّمت تنذرُ من؟

مَنْ ترى يقرأ هذا القادم المخبوء فى عين اليمامة؟

يرفع الراية فى الريح،
ويعطينا الإشارة
هيه يا زرقاء..
ماذا يضمّر الليلُ لنا؟
أنا أهواكِ،
وأفدى ومضةً منكِ بعمري
وأرى فيك امتداداتى وأسرار وجودى
ذائقاً من خمركِ الشهد المصفى
مُدركاً أن الخلايا تتعانق
والنسيج الحىّ فينا يتشابك
والوجود الرحب، من غيركِ، سجنٌ ضمّنا
أنا أهواكِ،
ولكنّ وجوه الناسِ حولى مستعارة
ألفت هدهدة العيشِ
وإيثار السلامة!

إن في عينيك - إذ أقرأ - أهوال القيامة

فدعينا نتماسك!

واهتفى بالقوم يصفون إلى عيني يمامة:

جبلٌ ينطق أشجارا

وأشجار تشكّن رجالاً

ورجال يسكنون العاصفة

فلنقاتل..

إنه اليوم الذي يأتي، فنعطيه ولا نملك ردّاً

قادم مهما ظلّنا ترجل

ورمى البيرق للريح وغاب

آه يا يوم الحساب

كم تتظنّناك كي تولد من قلب الشرارة

فاصلٌ أنت، وفي كفيك تحقيق الجواب

فلنقاتل..

دون حُسيانٍ لريحٍ أو خسارة!

البحث عن بدايت

من أى قاع سحيق سوف نبتدىء
وكلمـا لاح نجم راح ينطفىء
العمر ضاع سدى، عمر بأكمـله
ونحن نلبس حلما بات يهترىء
نستقرىء الغيب علّ الغيب يسعفنا
ونسـتريح إلى السلوى ونتكىء
تؤودنا عثرة حتى إذا اعتدلت
أقدامنا خطوة عدنا فننكفىء

هذى القبيلة قد فحّت ضفائنها
فليس يجمعها ماءٌ ولا كلاً
إن تسع يوماً فضى خلف وتفرقة
وإن تسرّ فعلى أقداسها تطأ
هل يكتب الدهر عنهم أنهم وئدوا
أو أنهم بعثروا فى التيه واختبأوا
وأنهم ذات يوم هاهنا عبروا
على الرمال، ويوما هاهنا طرأوا
الله فى همم باتت مُضيئة
وفى نفوس عرا جدرانها الصدا
هذا هو الجمع، عقدا كان، وانفرطت
حياته، مثلما قد ضيعت سبأ
يا من رميت فلم تدرك لأى مدى
لما رميت، ولما طير النبأ
ليس العدو أشقاء عصفت بهم
غدرأ، وأنت على الأرحام تجترىء

سلبتَهم جلوة الدنيا وزينتها
وديرة، فى لىالى أنسها نشأوا
كم أزروك وودوا لو فدوك هوى
كم دافعوا عنك أخطارا وكم درأوا
وألهوا منك فى أعماقهم صنما
لمثل طلعتة فى لىالهم ظمئوا
طعنت حلمهم الوردى، حين رأوا
أن الذى عشقوه منه قد رزئوا
وأن خنجرك المسموم حين هوى
أصاب قلبا بفيض الحب يمتلىء
ليس العدو شقيقا قد عصفت به
غدرا وأنت على الأرحام تجترىء
إن العدو بساح القدس تعرفه
كلُّ الرصاص الذى أطلقتته خطأ!

* * *

فى معرض الكون يجلو الناس صورتهم
ونحن يأسى على مأساتنا المأ
كانوا فحولاً، ففاصوا فى مضاجعهم
وكلما أخذتهم رجفة قمؤوا
كان السبيل هدى لو أنهم رشدوا
كان النهار ضحى لو أنهم جرؤوا
كان المدى باذخا من حوله احتشدوا
فليت أنهمو تاريخهم قرأوا
لست الزمان الذى نرجو، وليس لنا
لديك إلا الردى المسموم والحمأ

* * *

يا أيها المریدُ المحزون كم حشدوا
من حول نارك، ماكلوا ولا هدأوا
كانت زمازمهم فى الساح واحدة
مكرورة اللحن تُتهيها ليبتدئوا
بأى خزى ووجه شائه ويد
شلاء تستقبل الشعر الذى عبأوا

هذى القصائد عار الشعر فوقهمو
فليت أنهمو من عارهم برئوا
هذى الحناجر كم ضجّت وكم هتفت
ليستريح على أنفاسنا وبأ
انظر إلى حالهم تلقّ الذين أتوا
يوما إليك بهذا الشعر قد هزئوا
فى ذمة الله والتاريخ ما كتبوا
فى ذمة الحق والأرحام ما اجترأوا

* * *

يا من تقطّع فى أوصال أمتنا
وأنت تمعن فى نهبٍ وتدريء
من كان يعشق عدلا كيف يصنبه
أو كان يطلب حقا كيف يجتزىء؟
تبقى الكويت - برغم البغى - لأولوة
بريقها فى الليالى ليس ينطفئ

مملكة الفسق

هُنَيْهَةٌ. ويعتم الأفق

يسطع في الظلام وجه بومةٍ تكلى..

ووجهُ أفعوان

وجهانٍ شاخصانٍ.. يشهدان

على اندلاع الحزن في الفؤادِ

واشتعال النار في الرمادِ

واجتياح القهر للعبادِ

وانطفاءِ الحلم الذي احترق!

أسنةٌ مسنونةٌ .. نزيها بَرَقَ
مغموسةُ الأنياب في الحدقِ
مُشرعة في كفّ فاتحٍ عظيمٍ
ينزع من ذاكرة النهار معناهُ
وينتشى إذا مشى فوق ضحاياهُ
أو ارتوت من جثة التاريخ عيناهُ
ومن خريف قادم يكسو محياهُ
اللة من سحر البيان .. واللغى
إذا استعاذ أو نطقَ
وانشق باسمه الفلقُ
ونام لم يعبأ
ولم يُراوده قلقُ!

* * *

عناكب المساء أحكمت خيوطها
لعلها تتقضُّ عند اللحظة المواتية

على نفوس واجفة
قرونها تستقبل الريح التي تهب من بعيد
وتنفث القذى الذي قد سمم الوجود
وفى حلوقنا التصق
وسرب طير عائد، جناحه مزق
يرى نذير العاصفة
على مرايا كاشفة
والرعب فى الحالين..
إن أخطأنا
وإن صدقنا!

* * *

الآن.. هل يُفيد العقل؟
الجنون حكمة..
والموقف الحصيف فى حُسيانهم نَزَقُ
ونحن مقذوفون فى العراءِ

ليس فى خارطة الدنيا مكاننا
وليس فى صحائف التاريخ موضع لنا
ندور خارج السُّيَّاقِ
والسُّبَّاقُ دُونَنَا انطلق!
بأى وجه نستُرُّ الوجه الديميم المخترق؟
ونغفر البغى القبيح المختلق؟
بأى وجه نستُرُّ العار الذى يُظَلِّنا؟
من قبل أن تُزلزلَ الدنيا
ويُعتمَ الأفق
وتستوى مملكةُ الغسق!

أبوجهاد

كان يريقُ عمره على مساحة الخطر
فتكتسى الحجارة الصماءُ سحنةَ البشر
وتتبرى الحياة فى سنبلة على الهشيم تُحتضر
كان يريقُ عمره،
كى لا تخيب السماء وعدّها مع المطر
فالكرمة التى جفت ضروعها تنُّ
والغور السحيق يابسٌ
والبحر ميّت، ولا سفين

حتى الضفائر الصغيرة المجدولة الخيوط
تسجها أيدي الصبايا الحالمات بالقمر
قد أصبحت حول الرقاب حبلَ مشنقة
تشدهُ ذراع أخطبوط
يدوس عاتىَ القدم
كان يخوض فى الردى
مسابقا دقاتِ قلبه
توقاً لحلم منتظر
مُحلّقاً كالنسرِ،
منقضّاً على مشارف القمم
عيناه تسبحان فى توهج السنين
«الكرمل» البعيد قبْلتهُ
والقدسُ فى قرار قلبه الحزين
الحرب فنّه، ولُعبته
وعشقهُ الوحيد أن يجاوز التخوم والمدى

ويقتحم..

وكلما ترفقت به الخطى

أبى..

وهز رأسه العنيد،

وابتسم

كان يريق عمره، لا يعرف الحذر

لكنه يدري مسار خطوه لأين

ولا يبوح بالذى يُخبئ القدر!

* * *

ياكم تُرى جازفتَ حينما أمنتَ

حتى أتى اليوم الذى لا تنفع المجازفة

وانطرح الوجه الوضىء فى فجاءة الألم

مضرباً فى لحظة الصدام والمكاشفة

منسكباً على جذوع التين والزيتون

وموغلاً فى شجر الخليل والجليل

وراسماً بدمك الذى يسيل
وصهدك الذى استحال غيِّمةً ونجمة،
خارطةً للوطن المضمخ البعيد
والتمعت فى جلوة الشهاب والظلم
عينان طفلتان غاصتا معك
أُطلَّ فيهما ..
عينيّ صغيرة تحلم أن تراك يوم عرسها
أباً مؤانساً ومُتِّكا
وسنديانةً وليلكا
وفارسا يضىء برُقَّةً سنابكا
وساحةً حفيّةً،
ورانيةً،
وسارية
تحملها مبهورة الفؤاد، تعبّر الممالكا
تجوب فوق صدرك الحنون عالم الرؤى الوثير

مزهوَةٌ بحلمها الأثير

وكيف لا؟

كلّ فتاةٍ بأبيها مُعجبة

كانت هناك،

في انتظار يومٍ قادم، تراك

بالوجهها المطلّ في السنين

توقّفَ العمرُ بها، في لحظةٍ مُدبّية

إلى قلوبنا مُصوّبة

إلى المخادع التي يأوى إليها الحالمون

الواهمون بالأمانِ والسلام

حتى يفيقوا ذات يوم

على دوى العاصفة!

* * *

نلعنُ، كلما أضاء طيفك النبيل،

عصراً لأبناء الأفاعى الوالغين في لحومنا

المارقين من ثيابنا،
ومن جلودنا
الأكليين ملحنا وخبزنا
والشاربين من مياه نيلنا
نلعنهُ،
ونلمحُ البشارة
فأنت عصر قادمٌ
للغضب الذي انفجر
وهذه بداية الشرارة:
الهيكل الذي أقيم من جماجم البشر
هوى به إلى الثرى.. حجراً!

الكلمة

كانت في البدء الكلمة
قبساً من نور الله،
وسراً من أسرار الكون،
وفيضاً من نور الحكمة!
كانت في البدء الكلمة
صوتاً كهدير الريح،
وعصف الموج،
هتاف الرعد،

وومض البرق،
وطعنة رمح مقتحمة!
كانت في البدء الكلمة
شجناً كبكاء الروح
طيراً خفاها لم تحبسه قبضة إنسان
يتخطى كل الأسوار،
وكل سدود العزلة والقضبان
العالم - كل العالم - في عينيه
حسوة منقار
ورفيف جناح
ومدى الدنيا أضيق من بعض خواطيره
حين يطوف بالعقل اللماح
تتشق دهاليز الظلمة
وتضىء العين بنور القلب
ونحلق في جلوات الرؤيا

فى فردوس النور،
وفى ملكوت الكلمة!

* * *

كانت فى البدء الكلمة
طيراً حراً،
يتنقل عبر الأوطان
فلماذا، حين تغيب الحكمة
يطفى الإنسان!
فيطار هذا الطير الشارد
ويقصُّ جناحيه،
ويحرمه حلم الطيران
ويظنُّ بأن الدنيا طوع يديه
حين يُغلقُ كلَّ الأبوابِ
ويحكم كلَّ الجدران
ساعتها،

يحجبُ ذاكرةَ الأذان
ويظن بأن الجبَّ عميقٌ
والليل طويلٌ،
والدرب بلا عنوان
لكنّ الصوت الهادر يفجؤه دون استئذان
اشتعل أثير الصمتِ،
وغضبُ الوقتِ،
وفاضت موجات الطوفان
تهوى بالسجن وبالسجَّان!

* * *

الكلمةُ حرفٌ عربيٌّ
غنى في زمن الحلم العربيّ
ممدود الظل، ومنكسرا
معروق الوجه، ومنتصرا
فاللحن شجىّ

والسمع بهذا الحرف حفىّ

مهما اغتربت آفاقُ الحلمِ،

وقلنا: ضاع الصوت

أو غابت شمس الروحِ

فقلنا: فات الوقت!

يبقى فى نور العينينِ،

وفى غمض الشفتينِ،

وقبل الفوت

لحن عربى واحد

لنداء عربى واحد

تعزفه الأرضُ،

ولا تُنكرهُ الریحُ

ولا يَقْرِبُهُ الموت!

لحن موصول

لغدٍ مأمول

وزمانٍ ندرِكُهُ
أو يُدرِكنا نحن الطوفان!

* * *

الآنَ، الآنَ
تتشكل كلُّ حروف الكلمة
فى أيدى أطفال الأرضِ
وخراسِ العرضِ
وأبطالِ الساحةِ، والميدانِ
تتشكل كلُّ حروف الكلمة
تصبحُ حجراً،
حجراً يصبحُ وطننا
وطننا يتشكّلُ،
يأخذ موقعه بين خطوط الطولِ،
ويشمخ بين خطوط العرضِ
ويرسم دُنْيًا من ألوان

لصفار نضجوا فى صهد الأحران
كبروا..

تحت لهيب الشمسِ،

وعصف الريحِ،

وزلزلة البركان

خرجوا من كل شقوق الأرضِ،

وكل سفوح الغورِ،

ومن قاع الوديان

وانشقت عنهم كل الجدران

ذاقوا ثمر الحكمة، لم يُسعفهم ثمر الحكمة

فرموا حجرا فى وجه الموت

حجرا يصبح وطننا

وطننا يتجمع من كل الأشلاءِ

ومن كل الأحرانِ

ومن كل الأشواقِ

ومن كل النيران
وطناً كجميع الأوطان
أعظم ما فيه الإنسان!

بلادي التي أكلت عاشقيها

سمعتك..

كنت تقول بأن الزمان الخسيس اجترأ

ألم يكُ طفلاً

وكنت تصاوله

وتردُّ عليه الأعيبهُ

حين يعلن عن صبوةٍ

ويشأغب مصطدماً .. بالملأ!

سمعتك تهتف!

«هذي بلادى تعود إلى،
ويرجع لى وجهها العسجدى
ويدفعنى النزق المستطير،
تراودنى شهوة لامتلاك الوجودِ
وُسرجنى حُلْمٌ مستطارٌ
فأصهلُ،

بالنبوءة إذ تتحقق!
إنّ زمانا بحجم الفضاءات يرتع فى
وعشياً يشبُّ
وناراً توجّجنى
لا أطيع انتظارا...
فأسرعت..
صرتَ حروف النّبأ
رماداً يذكرنا بالمشيب المطلُّ
بوجهٍ جميل توارى

وصوت تمزق نرّفا
وعاصفةٍ أكلت نفسها
وزمانٍ جريح
ونجمٍ تدلّى..
تدلّى..
وأوشكتُ المسةُ..
فانطفأ!

* * *

بلادى التى لا تعودُ إلى
وتسكننى لغةٌ لا تضىءُ
ونارٌ مُداجيةٌ..
أستحيلُ مدائن مغلقةً
ومتاحفَ منهوبةً
وشوارع تفترشُ العابريها
وسرجا يطير على كلِّ ريح

فضاءً ينوح
بلادى التى أنبتتني سنانا
وعلمنى صهدها أن أخوض
وأعبر فوق الجراحِ،
وفوق المنايا
وعلمنى صبرها لا أبوحُ
أعيدى إلى الأمانِ
أنا هاجسٌ مستباحٌ
وجدبُّ بَراحٌ
ودمع شحيحٌ
بلادى التى أسلمتني لهذا الزمانِ القبيحِ
لَقَى سائفاً
واعوجاجَ خطوط
لَقَى سائفاً
واختلاط ملامح

إن الحروف التي صنعت حُلْمَنَا تَتَفَكُّكُ
والثمر المرتجى، قبل مواعده، يتساقطُ
إن الطيور التي آذنت باكتمال الربيع
لتصنع أغنيةً،
باغتتها المرارة،
فابتلعت غيظها مرّة، علّها!
داسها حظّها مرتين، استكانت
وعاودها الصحو،
فانفجرت، بدأت عزّفها
فى اندلاع الحريقِ،
ونزّف الخلايا
شظايا..!
شظايا!

* * *

أنادى

بلادى التى أكلت عاشقِها

أطلُّ

فها أنتِ مرسومةٌ فى انسحاقِ المرايا

حرائقِ منصوبةٍ ودخانِ كثيفِ

تلافيفِ منخوبةٍ وجدارِ مخيفِ

هنا لغةٌ للرمادِ،

وأحزانِ نخيلِ أسيفِ

لماذا تسوقين للذبحِ أطفالك الشعراءَ

فلا يرجعون

تسافر فينا ملامحهم،

وتغيبُ،

ونشتاقهم

فيحْدُقُ فينا خيالٌ يطوف

لماذا تظلمين صمّاءَ، بكماءَ

إنهمو يعزفون وهم ينزفونَ

ويغتسلون بدمع الغناءِ

فلا تسمّعين!

ولا تبصرين!

ويقتربون..

. لعلّكِ بالباب .

بالباب يقبع وجهُ الحتوف!

بلادى التى أكلت عاشقيها:

نجيئك فى أىِّ صفٍّ؟

وندخل فى أىِّ ساحٍّ؟

ونُوغل فى أىِّ عمرٍ؟

سيدركنا الدور يوماً..

فلا تأذنى بالوقوف!

تفرق السمار

تفرق السمار
وارتحل الجمع الذى هفا
إلى ينابيع الصفا
وساحة الوجد الذى انطفا
وكان شارد القلاع والمدى
يهيس فى البحار والأسرار
ويحمل العجائب التى لم تحوها أسفار

* فى وداع الشاعر طاهر أبو فاشا .

فتلتأذنون للقادم المجهول
أن يُترع الكؤوس للنهاية
ويبدأ الإيقاع والحكايا
ويطلق القيثار
تفرق السمار
وآذن الليل المقيم بانحسار
يا أيها الليل المطلّ، قادمًا، مُعجلاً
مقطب الجبينِ
غائر العيونِ
أشعث الرؤى كضورة الغبار
قد آن أن تُغادر الرواية
وتنزل الستار
لا شهرزاد اليوم فى مكانها
ولا هناك شهريار!

* * *

هل كنت تعابثا وبيباغتتا شررُك؟
الوارى اللحم ككهريةٍ تحيى وتميت
حتى تصرفنا عنك،
فلا نتأمل حزنا فيك،
تسرّب تحت الجلدِ،
وخيم في العينين الضاحكتين
بنشوةٍ منتصرٍ في ساح القولِ
وفتاك في حومة كلّ نزال؟
فالقول الفاصل قولك
والنصل الساطع نصلك
والوجه المترع بالإيناس يشاغلنا
حتى لا نبصر نرّفا فيك،
ولا ندرى أنك تستجمع منك بقية صوتٍ
وحشاشة نفس تتقطعُ
تذبحها سكين الوقت!

وتراوغنا

حتى لا ندرى أن البسمة حين تروح وحين تجيء
يُشاغلها سمسار الموت!

* * *

إن الثمانين . وجاوزتها .

. يا أيها الشاب الذى مازال فى مدارج الصبا

لم ينفذ اليدين من شقاوته .
عبء ..

تكسرت نصاله على النصال

وانكشفت جروحته عن القروح

حتى أنتك الطلقة التى لا تخطيء الرجال

وعندما سبحت فى سكينه الرضا

منفلتا من ربة العذاب والألم

كان فؤادك الجريح يبتسم

يغفر ما أتى به القضا

لأنه مضى!

* * *

أكاد أصفى الآن من بعيد

لصوتك القصيِّ

وقلبك البكيِّ

يقول للإنسان: يا إنسان

هَبْكَ رَفَعْتَ الصوتَ ففطى طول الأرض

هَبْكَ دَخَلْتَ السيرَكَ

ورحت تجيد فنون العرضِ

وكلَّ فنون الرِّكضِ

تتعلق بالأحبال وتُمسك بالخطاف

أنا تصمتُ حين تُخيفُ..

وَأنا تزار حين تخاف!

هَبْكَ نَفَذْتَ إلى السرِّ المخبوء المبهم

بتخفى خلف عيون الغمضِ

فَنفَخْتَ بِرُوحِكَ فِي مَوْتِي
وَهتَكَ حجاباً عن أحياء
وَعَفَرْتَ لِكُلِّ النَّاسِ وِضَاعَةَ كُلِّ النَّاسِ
لأنك بعضُ الناسِ
وَرَفَعْتَ خَفِضْتَ
خَفِضْتَ رَفَعْتَ
ورحت تراوغ في الميزانِ
فَتُسْرِفُ حِينَ تَكِيلُ
وَتَخْسِفُ حِينَ تَمِيلُ
ولا تعوزك الحجة أو يضنيك البرهان
وعلوتَ علوتَ
فلا أعلى من بيرق مجدك أو أسنى
يتلألأ في جلواتِ الومضِ
فأنت التابعُ والمتبوعُ
وأنت الراسمُ والمرسومُ

وأنت الخادمُ والمخدومُ

هَبِّكَ..

وهَبِّكَ

وهَبِّكَ..

فلماذا بعد الضجة يبقى؟

بعد غبار الموكبِ

حين تُشيعُ ذات صباحِ

حين تُسجّي ذات مساءً

أسمعك تقول الآن:

ماذا يبقى.. إلا ما أبقيت؟

ما صاغ فؤادك من فيض الكلماتِ!

لؤلؤة يحملها السمّارُ إلى السمّارِ

ونجاوى حب يحملها شجن الأسحارِ

وسلالا ملأى بقطافِ

فيهنّ قلوبٌ

لا أشعار!

موعدك الآن

زمانك موصول وعطرك دائمٌ
وورْدٌ على ساحاته نتزاحمُ
نجىءُ إلى شطّيك، ضاءت منارةٌ
ودلت علاماتٌ وفاحت مواسمُ
ونسكن ما بين الظلال، وننتمى
تُراوحنا ريثاً، وتسرى نسائمُ

* فى وداع الدكتور عبد المحسن طه بدر.

ترود الحمى عين، وتلمسه يدٌ
ويرعاه شوق في الضلوع ملازمٌ
وأنت أمامَ الصف تحمل مشعلا
تخوض به وجه الدجى وتصادمُ
وأنت اشتعال النجم، أو طلقة الردى
تسددها، والليل عاتٍ وجائمٌ
تعلمنا أن الحياة كرامةٌ
وأن شعاع الفجر لا بدُّ قادمٌ

* * *

كنا إن جاء الليلُ وأسعفت الخلوة
نتحلّق من حولك،
نرشف ما يساقط من ثمر الحكمة
ما يتدفق من جلوات الروح
وما يتسلل من فيض النجوى والإفضاء
ونطالع فيك زماناً راح،
وعطرا فاح

وقلبا متقدّ الهمة
بركانا يقذف أقباسا تشعل وتضىء
عيناك ترودان الأفق النائى
وتعودان بما شارفت وما طالعت
فأنت المبحر دوما،
ليس يُبالى العصف الهائج، والأنواء
فلكلّ سفين تمخرُ هذا الموج علامة
ولكلّ طريق تُبحرُ فيه.. شهود لا ترجع..
لكنّ العمر يصير بلا معنى
إن لم يطلق كلّ منا سهمه!
كانت عيناهُ تقولان
كانت كفاهُ تشيران
والصوت الغاضب يعلو ويدوى
حين يصاب بخيبة وعدٍ.. فى إنسان!

* * *

كان جسورا وذكيا
يدرك في ومضة برق حجم الطعنة
وجه القاتل إذ يتبدل أو يتشكل حين يصول
مهما يتلبس أقنعة،
أو تتلبسه حالات وفصول
فيعرّيه بلمحة صدق
ويفاجئه حين يقول..
ويقدم ذوب القلب فداءً للمقتول
ويكاد يلاحقنا عشقا
فيحيي أجمل ما فينا
يستوحى الأنبل والأبقى
فإذا كفاه المثلتان
والصدر الريفي المجهد
يحنو،
منكفئاً فوق مواجفنا

ليهدهدنا ويُشكّلنا
ويُلمّ شتاتَ هزائمنا
ويعيد الفارس فينا للميدان!

* * *

هل فجر هذا الزمن القاتل في صدرك لغمه
فمضيت تدارى نزفك عنا
تطوى الأحشاء على سُم يسرى
كبدٍ تتفتت،
وفؤادٍ منحوبٍ بالإعياء
لكنك تمشى فوق الألم، وتتزف،
لا تتخلف في سيمائك نامة
أو تتأخر عن أحبابك نسمة
أو تفلت في كلماتك نعمة
حين تجلجل بالصوت الداوى الرنان
تقتحم البغي بلا استئذان

وتواجه هذا العالم.. بالصدر العريان

ينزف حتى آخر رفقٍ..

فى أصغر أصغر شريان!

* * *

ويمرُّ زمانٌ بعدك..

ثم يجيء زمان

نتلفت حولينا،

نبحث عن أنبل ما فينا

عن صوتٍ تعرفه الأذان

عن وقفةٍ حق لا تخشى بطش السلطان

لا يغويها ذهب أو جاهٌ أو نيشان

السّاحة ملأى بالبهتان..

وهزائمُ قومٍ،

مثل بطولة قومٍ سيّان

موعدك الآن..

ليطلّ علينا الوجهُ القاسى الإنسان
تمثالٌ حىٌّ .. ومكانٌ
يبقى فى قاع الوجدان ..

سيده الماء

النيل

ألقى النيلُ عباءتهُ فوق البرِّ الشرقيِّ ونامَ
هذا الشيخُ المحنيُّ الظهرِ
احدودب،

ثم تقوَّس عبرَ الأيامِ
العمرُ امتدَّ

وليلُ القهرِ اشتدَّ

وصاغ الوراقون فنونَ الكذبةِ في إحكامٍ
لكن الرحلة ماضيةٌ

والدرب سدودٌ

والألغام!

حمل العكاز وسار يحدق في الشيطانِ

وفي البلدانَ

قيل: القاهرةُ

توقفَ..

جاء يدقُ البابَ ويحلم..

هل سيصلى الجمعة في أزهرها؟

يمشى في «الموسكى» و«العتبة»؟

يعبرُ نحو «القلعة»

أو يتخايل عجبًا في ظلّ الأهرام؟

ويظلّ الشيخُ النيلُ يحدقُ

لا يجدُ وجوهًا يعرفها

وبيوتًا كان يطلُّ عليها

وسماءٌ كانت تعكسُ زرقتهُ

وهو يمدُّ الخطو
ويسبقُ عزفَ الريحِ
ويفردُ أشرعةَ الأحلامِ
وقف الشيخُ النيلُ يسائلُ نفسه:
هل تتغيرُ سحنُ الناسِ
كما يتغيرُ لونُ الزى؟
وهل تتراجعُ لغةُ العينِ
كما يتراجعُ مدُّ البحرِ؟
وهل ينطفئُ شعاعُ القلبِ
فتسقطُ جوهرةُ الإنسانِ
ويركلها زحفُ الأقدامِ؟
دقَّ الشيخُ النيلُ البابَ
فما اختلجتْ عينٌ خلفَ الأبراجِ
ولا ارتدَّ صدى في المرسى الآسنِ
أو طار يمام!

من يدري أن النيل أتى
أو أن له ميعاداً تصدح فيه الموسيقى
ويؤذن فيه الفجرُ
فتتخلعُ الأفئدةُ
ويكسو العينينِ غمامًا!
وتتحنحُ مزدرداً غصتهُ
عاود دقَّ البابِ
الناسُ نيامًا!
ألقي النيل عباءته فوق البرِّ الغربيِّ
ونام!

كرة النار

كرة النار فى يدك
وفى وجهك سدً
أتلك آخرة الشوطِ
أم البحرُ مسعفٌ حين تغرق!
قلتَ لى:
لإنجاةٍ إلا بأن أعدو
حتى ألاصقُ الأفقَ مأخوذاً،

* «إلى الصديق الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة،

وأرمى كلَّ الوجوه ورائي
نازعًا من دمي تلفته نحوى
ومن هاجس الرمال صدى خطوى
وفى الريح دمةُ القلب بيرق!
أتراها الفصولُ خاتلها البرقُ
فلم تثمر غراسُ
ولا أطلَّ ربيعٌ
- كمَ تمنيتُهُ -
ولا العمرُ أورق!
ضاربٌ أنت في اليبابِ
فضاءُك خلوّ
أشباحُها كامناتٌ فيك
تعري في الشمسِ
حين تمدُّ الطرفَ مستفهماً
تشعلُ التيةُ

فتأتى مواكبًا تتحلقُ
هل وراء الرمال إلا الرمالُ؟
وهل فى الأرض من غاية تُذلُّ؟
وكم فى النفس من قشرةٍ تتشقق!
أنت لا تبتغى سوى الماء والظلُّ
ويوم يرممُ القلبَ،
فهل تستطيع لِمَ شظاياهُ
- تتأثرن فى البلاد -
ووجهًا بين الدروبِ تفرَّق!
والصدى،
هل يعيد للسمع أناتِ السبايا
ترحلن من زمانٍ بعيدٍ
وأنا عبيدٍ
تجمعتُ فى شعابِ الوقتِ،
يفلى بها الأثيرُ ويفهقُ!

فى عويل الريح صوتك ملتاغاً،

تتأى

فتطلع حوليك،

ليس إلا غبارُ قافلة الموتِ

رفيقٌ

وفى آخرِ هذا القتامِ

وجهٌ مُكبَّلُ السمِّ مطرقٌ

كرةُ النارِ فى يديك

فمن ترمي بها الآن..

من قبل أن تراغ وتُحرق!

إن فى حلمك الطعين دماءً

نازفاتٍ

حتى تجفَّ،

ووجها فى صورةٍ تتمزق!

الإسكندرية

الحوارُ الذي مع البحر لم يهدأ
ولاجاوزتْ خطاكِ بعيداً
حد اكتمال البداية!
شرراً في مراجلِ الجمرِ
ينداحُ على شطكِ
فالماءُ والنارُ..
صفحتانِ
وآية!

أفقٌ باذخٌ،
يُرْنَقُهُ بوحٌ شجيٌّ
وهاجسٌ لوداعٍ
وعاشقٌ يصطفى فيكِ
زمانا
وموعدا
ونهايةً!
الحكاياتُ ملءٌ صدركِ
والبحرُ هو البحرُ،
يوافيكِ جاثياً
- مثلما الآنَ -
ومستغرقاً
إلى ركبكِ الملكيِّ
وفى قصركِ العسجديِّ
على عرشكِ الثبجيِّ

ويعطيكِ من نفسه
لايضنُّ،
ولايشتكى
إنه باسطٌ ذراعيه حوليكِ
ومازلتِ..
هل تبوحين؟
تصدين؟
أم لعلكِ فى أسرِ هواه
ترخينَ حبلَ الغواية!
خاجزُ الرملِ خلفَ ظهركِ يمتد
وفى وجهكِ وجهانِ:
أوسطى
وحالمٌ بالبداية!
رأسكِ الآنِ غارقٌ..
وعلى ثوبكِ

أخلاقاً رحلة في امتداد العمر

تنساب في خيوط الحكاية

ما الذي تزمعين؟

قفز إلى المجهول..

أم غفوة إلى الأمس ترتد

وماض يروم بعث الرواية

بين حلمين تستديرين للشمس

وتمضين..

وفي مقلتيك دمة «إيزيس»

وفي خطوتيك إغواء «روما»

وبسمعيك هاتف من أذان الفجر..

هل أنت في طريق الهداية!

وحدك الآن في القرار

فكوني أنت

لا تحفلي بكلام الناس

إن الهدير حوليك يشتدُّ
الوجوه التي صحتْ تشرئبُ الآنَ
هذي الشقوق قد قذفتْ ساكنيها
هل تُولِّي مشدوهةً
فى فجاج الأرضِ
تغلى قيعانها -
وتصلى؟
هل تُولِّي..!
ينتحى البحرُ..
يختفى..
وطيورُ البحرِ تبكى..
وعلى الشاطئِ الحزين المدمى
دمعةٌ من «كافا فيس» المتوحدُ
إنه ذائبٌ، كما تتهاوى
شمعةٌ،

أشعلتْ ظنون لياليهِ
وآثامُهُ
وعُقَابٌ من الهواجسِ ينقضُّ عليهِ
ينوشُهُ في انفعالٍ،
يسوقُهُ للنهايةِ!
وهو في كهفهِ يردُّ جيوشِ الخوفِ عنهُ
ويحتمي من صباحةِ
بمجيءِ البرابرةِ
إنهم - إن أتوا مدينته المستباحةَ -
بعضُ حلٍّ من الحلولِ!
أم تراهُ «داريل»
يخوضُ في الوحلِ،
ويرتاد قبوهُ في شعابِ الليلِ
كَيَ يطفئَ السعارَ الذي يُنشبُ فيهِ
أظفارهُ الوحشيةِ!

والرفاق الذين جاسوا
وجاءوه خفافاً
يودون لو تطولُ المسافاتُ
انتهازاً للحظة العبثية!
يُطبقُ الأفقُ حول عينيه
فالبحر غريقٌ
والقبوُ موسيقى دخانٍ
صخابةٌ همجية
إنه عاشقٌ يضلُّ
وتغويةُ الأباطيلُ،
فلا يبصرُ إلا أشباحه الوهمية
لورنا منصتا إلى وجهك الشرقيُّ
يوماً
فاضتُ حناياهُ بالنورِ،
والوعد السخية!

كيف لم يبصروا مناركِ يختالُ

وبرقا يضيءُ..

إسكندرية!

جاء سمانكِ الخريفُ

فاهتزت لأسرابه الشطوطُ القصية

وتتادت حتى الشعابُ العصيّة

تلك ریحُ الشمالِ،

تتهلُّ في صدركِ

مبتلةً الثيابِ..

ندية

قيلها..

وعانقني في ثناياها هوى كامناً

وزحاماً من الأمانى

فنوناً من التصاويرِ

أيقونةً من النجومِ الحفية

أنتِ لن تغلقي نوافذكِ البيضَ
ولن ترتضى حياةَ الدنية
التتارُ الذين يسبُّونكِ اليومَ
ويبنونَ فوقِ صدركِ أبراجًا
ويُزهونَ بالقلاعِ العلية
إنهم يفتأون عينيكَ والبحرَ،
يصيدون النسيمَ الطليق
والحرية..

إنهم قادمون من زمنِ الجذبِ
حريقًا مدمرًا
وجرادًا معریدًا
وامتدادًا للهجمة البربرية
ما الذى ينتوون أبعد من ذبحك؟
ماذا يفيدُ سلخُ الضحية؟
وحدكِ الآنَ فى القرارِ

فكونى أنتِ
كونى نبض الحياةِ الفتية
وانهضى،
واقذفى إلى لجةِ البحرِ
غزاةً تجاسروا ..
لطحوا وجهكِ الجميلِ
أضاعوا سمكِ المزدهى
وعاثوا فيكِ نهباً
وذلةً
وسعاية
وحدكِ الآنَ فى القرارِ
فكونى أنتِ
كى لا يغيبَ وجهُ القضيةِ!
هل تضجين بالشكاة؟
وهل يردعُ جيشُ التتارِ وخزُّ الشكاية؟

إنك الآن فى الطريق إلى الحلم..

وهذى -

بدايةً للبداية!

إنها تمطرُ صيفًا

- هل ستمطرُ في الصيفِ؟

- تمطرُ..

فانتفخي يا جيوبِ الرعاةِ

ومت كمدًا يا ربيعِ المواسمِ

إنَّ مآلكَ للقطِ

هذا مزيدٌ من السنواتِ العجافِ

تحلق فوقِ الرعوسِ

وفاكهةُ الصيفِ فاسدةٌ،

والذى نرتجيه هشيماً!
الفصول التى فتلت حبلها
حداً أنشودة فى رقاب العبادِ
يلازمها الآن نوح النواعيرِ
فارغةً

وعويلُ غناء قديم!
المواسمُ - متخمةً بالوعود -
تُساقطُ حباتها للجياحِ
وتعلن عن زمنٍ للرمادِ
وموعد جذبٍ عظيم!
- هل تغادرُ دائرة القحطِ؟
إن براقك يركضُ فى التيه
والسرجَ منزلقاً -
والزمانَ العصىَّ بخيلٍ
- كيف تصعد؟

- رمحك منكسرًا،

في الفضاء يداك معلقتانِ

ووجهُ البلاءِ مقيم!

* * *

لا..

ليست سحابةُ

تلك التي عيونها تبكي،

ولا الذي يهمل مطرًا!

هذا شواظٌ حارقٌ

من رحم الأرضِ ابتدا..

ومن تصدع الحجرًا

من غضبةٍ يحملها الرعدُ،

كأنها صرخةٌ كونٍ يُحتضر

لفحٌ جحيمٍ يستعر

ومن فسادٍ عارمٍ

يدقُّ ناهوسِ الوباءِ والخطرُ
على جنايةِ البشرِ
لا،

ليس غدًا ما يُنتظر!
لكنها اللحظةُ قد دارتْ بنا،
ثم استطال ظلها
حتى ظنناهُ عبرَ
وحينما نرتابُ فيه
نمدُّ لآتى أثرًا

* * *

- ما الذى تطلبُ الصغيرةُ؟
عشٌّ من يمام
وقبضةً من نجومٍ
ويدٌ تمسكُ السحابَ،
فلا يرحلُ،

حتى يضىء وجه الغيوم
دع لها أن تكورَ الحلم في المهدِ
وأن تطلق مرجًا من العصافيرِ
في فوضى براحِ
وفي فضاءٍ حميمِ
دميةٌ أنتَ في سبيكةِ عينيها
خيالُ المآتةِ الهشُّ
ذراعٌ مجدولةٌ لاتريمِ!
قبل أن يستجيب رأسك للغفوة،
بادرْ..

هذا أو أن التخطى
وهذا أو أن بدءِ الصعود
والطريق الذى سترقاهُ مُواتٍ
والخيرُ طاغٍ عميمِ
إنها فى انطلاقها لاتبالى

أجديدٌ بُراقها أم قديم
فانتظرْ ريثَ يشتعلُ العشبُ،
وبادرْ،

إن اللقاء حميمٌ!

* * *

- ما الذى تطلبُ الصغيرة!

- هيءٌ مهدها ..

قبل أن تمضى إلى رحلة المدى والتخوم

والذى تطلبُ الصغيرة لو تدرى

قريبٌ من إصبعيها

لكنه لا يقيم!

إلغاء

زمنٌ للرحيلِ
فماذا هنا تطمَعُ الآنَ فيه؟
بكفئكَ هذا النتوءُ الذي لا يريحُ
وأنت تصافحهم واحداً واحداً
وتخرجُ من بينهم مثلما قد دخلتَ
سوى نتنٍ عالقٍ بالثيابِ
وشعوذةٍ خلفَ هذا الإهابِ الصقيلِ
فمنَ ذا يطامنُ من زهوهم بالحياةِ

ومن ذا يُلاحقهم حين يفترسونَ

ويغتصبونَ

ويقترفون كبيرةً كلِّ الكبائرِ

حين يُراؤونَ،

أويعظونَ

وأنتَ تصافحهم واحداً واحداً

ثم تخرج من بينهم..

هل تأملتهم؟

إنهم بضعةٌ من أصابع كفيك

هل تقطعُ الآنَ كفيك

كى يستريح البشر

وتحوز القبولَ!

* * *

ما الذى فىك لا يُرتجى أو يسرّ؟

وماذا يراود هومك حين تبالغُ أيديهمو

فى السلامّ..

وتلمع أسنانهم فى ثنايا الكلامّ..

وتريدُ سحنتهم فى اهتمامٍ..

ويشخصُ خدامهم فى فضولٍ..

المهمون همّ..

آه إياك أن تنظر الآن شزرا

وتتطق هذرا

إنهم فوق مسرحهم واقفون ومستعرضون

ولكنهم . خلفَ هذى الستارةِ .

منكمشون

ومرتعشون

ولا يعرفون إذا كان يومٌ جديدٌ سيأتى

وهم شاخصون!

المهمون همّ

فهل قلتَ كفرا

وعينك تثقبهم
وتعاینُ هذى الفسولةً سرا وجهرا
ما الذى فيك؟
لا..

إنها عينك المستبدة..
هل تفقا الآن عينيك
كى تستحقّ المثول!

* * *

الممالكُ يحتشدونَ لحفلِ زفافِ المدينةِ
ها..

الوليمةُ ساخنةٌ،
والميادين مضممةٌ بعناقِ الخيولِ
فمن يرثُ الآن هذى التكايا
وعصر السبايا
وأوزار كلِّ البغايا

وينصبُ مملكة الفقراء وراء جدار العويلِ
الممالكُ يستعرضون الوجوه الحزينة
منتفخينَ

علي وقع دقُّ الطبولِ
والبيارقُ مرفوعةٌ
والسماءُ مواتيةٌ
والفضاءُ المدمي ظليل

فمن يصرخ الآن أو يستغيثُ
وماذا يفيدُ احتجاجٌ هزيلٌ
ستصبحُ في الركب،

منتفخاً كممالك مصرَ
تشاركُ في المهرجانِ الجليلِ
ولكنَّ وجهك مختلفٌ...!
هل تُبدلُ وجهك؟

تلفيه؟

سارِعٌ..

وعدّ لهمو بالقناع البديل!

* * *

ملفياً أنت كلّ الذى كان معترضاً

والذى كان مشتبكاً

والذى لم يزلّ يتململُ فيك..

وأبدلتَ حتى ملامحَ وجهك..

ها أنت بالباب منتظرٌ

هل يتأحُ لك الآن..؟

إنك منزلقُ كالنسيم

وهذا أوأنُ الدخول!

فتيلت من رماد الوقت

لا تقل للربيع سركَ

فالعطر مذاغٌ،

والطير تلتمسُ الصحوَّ

وفوحُ الوجودِ

ريانُ

فاغمَ

بينِ ظليينِ،

عابرينِ على النهرِ،

توقفت..

هل تريد مزيداً؟

أم هو القلب..

في فضاء الصباياتِ

وفي جلوةِ الحقيقةِ -

هائمًا!

عدّ إلى نقطةٍ

تخيمُ في البدءِ،

عهودٍ طليقةٍ من إسارِ الوعي،

دنيا من الفرور الذي يُعمى

حبالٍ ممدودةٍ

تحتها الجمرُ،

وعمرٍ قطعتهُ..

شبهَ نائمًا!

* * *

هل تجيدُ الذي تقولُ؟..
إذن قلْهُ..
وحاذرْ ألاً تصيبَ وتصمى
شجرٌ حائلٌ...
فلستَ ترى الثغرةَ منه..
ولا انفراجةَ سهمٍ
فى قبضة الصقر حائمٍ
شجرٌ حائلٌ كثيفٌ..
وحراسٌ غلاظٌ
وصبيةٌ يتبارونُ،
وساحٌ مملوءٌ بالسوائمِ!
والثغاءُ الذى يمور ويشتدُّ،
- ولا زامرٌ حىٌ -
خلالِ ذاكِ رغاءٍ
ليتهم أجمعوا بليلاً

فكانت تلك ضوضاءهم..

ولكنها الفتنةُ

فى مقلةِ الردى وهو نائمٌ!

خضَّ عبابَ الكلامِ

واعبر شعابَ الموتِ

أشعلَ فتيلةً..

من رمادِ الوقتِ

وانثر حريقها فى الجماجمِ

إنّ هذا الطريقِ يستقبل الموتى

ويعطى شهادةً بانتقالِ العهدِ

من مرغمٍ

لآخر راغمٍ..

تلك أفواجهم..

وهذى خطاهم..

مضرماتٌ شواظها فى امتداد الأرضِ

تُبقي لنا الهشيم
ولا يُبقى لظاها
مساحةً لامتدادِ العشبِ
أو موعداً ..

لبداءِ المواسمِ!
إنها آخرُ الفصولِ من الدنيا ..
فمن قال إنها لن تدور الآن ..؟
هذي أنفاسنا تسرق الصحو
وهذي رؤوسنا
فوق موج اليمِّ تعلو،
وعلى الأفقِ ..
كلكلُ الليلِ جاثم!

* * *

إنهم يقبلون من آخر الدنيا
إلى حتفهم،

كطيور الماء،
هذى شباكها فاغرات
وعلى البحر مخلبُ الموتِ عائم
رفرفاتُ مهيضةٌ
ويحط الطيرُ،
ها آخر المطاف الذي طالَ
وسرُّ،
مآله للنساءم!
فى السكون الأخير من صخبِ الليل
أنينٌ،
وصحوةٌ لعواءٍ
وصفيرٌ..
وظلمةٌ تتصادم..
إنهم عائدون من ساحة المجد المولى
فيالقاً تتزاحمٌ

من زمانٍ كأنه باطنُ القبوِ
رجالتهُ تنوءُ بما تحملُ
منخوبة القلوب، بما تنزفُ،
منفوخة الجيوب بما تملكُ
لكنهم عبيدُ الدراهم!
البطولاتُ راقصاتُ
وراياتُ السكارى منصوبةٌ..
ولهيبُ الوجدِ طاغٍ..
وأنت فيهم مسالمٌ!
تتحرى كنزَ المواقيت للبوح،
وتصفي
لتمتمات الهزائم..
إنهم يحملون أوسمة الليلِ
وشاراته التي تملأ الدنيا..
فما الحاجةُ يوماً

لغير هذى العظام
لاتقل للربيع سرك..
إن الجمرَ يذكو..
وحارس الليلِ يدنو
والقدَرُ تغلي وتغلي
والفجرَ لاشكَّ قادم!

ماوية

من الماء أنتِ
فلا تبرحى الماء،
إنَّ جفافَ الجداولِ
ترضعه شهقةً منك
يندى
وتتعطفُ الریحُ
حين تروم احتواءكِ

* الماوية: نسبة إلى الماء مثل سماوية وصحراوية، لأنها تشبه الماء فى الصفاء والنقاء.

هيهات! أنتِ مراوغةٌ
جسمك الياسمينُ
تأوّد منسربًا كالشعاعِ
وأسلم أغصانهُ للحقول!
يلاحقك العطرُ؟
هذا زمانٌ قديمٌ
وتلك فضاءاتٌ كونٍ تواري
ونقشٌ على الصدرِ،
منعقدٌ
ونداءٌ
يردده هاجسٌ لا يريمُ
وحسبُ الأزقةِ أن تمسكَ اللونَ
فى طلعهِ الشفقِ
وأن تحبسَ الشجنَ المتناثرَ

عبرَ الشقوقِ
وعبرَ النوافذِ
يصعدُ في لغةٍ من سنابلِ
مضفورةٍ
لجميعِ الفصولِ
وأنتِ غزالتها..

هل تحممتِ بالركضِ؟
شاردةً في انعتاقِ الصدورِ
ومارقةً من شراكِ الهواجسِ
موغلةً في انعقادِ الظلالِ
وفى فرحِ اللونِ باللونِ
ساطعةً في بهاءِ اليقينِ
وداخلةً..

ها أوانِ الدخولِ!

تعودين للماءِ؟

- يا حظه الماء..

يا جسدًا يشتهيهِ

ويا لهبًا في الضلوعِ

وفاكهةً لجميعِ المواسمِ

أيقونةُ الندِّ والزعفرانِ

وأغنيةُ بحٍّ فيها الحنينُ

ونجمًا بعيد المدار

ووعداً ..

لهذا الفؤادِ الملول!

وها أنتِ

ذائبةٌ في المكانِ

وهاجعةٌ في الزمانِ ..

وممسكةٌ بموازنٍ يحملها القلبُ

هل يرتضى قسمةَ الغرماءِ؟

وهل يستجيرُ إذا فسدَ الكيلُ؟

وانطفأت نجمةُ الروحِ
فاعتصمتَ وردةٌ في الدماءِ
ومات ندى العشبِ في الماءِ
أيقنت الأرضُ..
أن انتظار السماءِ يطولُ!

سيدة الماء

تحت جلدى سكنتِ
فانتشرى الآن..
ولاتقنعى بمسرى الشرايين
ولابانطلاقةٍ
فى عروقى
ما الذى أرتجيه أكبرَ من عرشك:
عمرٌ يضيئنى..
وامتدادٌ من المسافات..

يطويهنَّ وعدُّ،

- يا طالما الوعدُ يغرى..

ومهجةٌ في خفوقِ

هل تحسین جلوةَ الروحِ بالروحِ،

خاليا تصطكُ..

في ساعة الومض

ودنيا

موسومةٌ بالشروقِ..

أنتِ نجمٌ مقابلٌ لاندلاعِ الحلمِ

في دارةٍ من النورِ،

تزدادُ اثتلاقاً

وعطرها الفاغم البوح

يوافى..

من الفراديس نشوانَ

وينهلُ..

من زمانٍ سحيقٍ!
عبثاً يحتويك صدرٌ..
ويلغيك زمانٌ
فأنتِ سيِّدةُ الماءِ
تشكلتِ من عناصره الخضراءِ
أبدعتِ في اكتمالِ معانيكِ
وفى جلوةِ اللظى..
والحريقِ
ما الذى تضميرين؟
هزى إليك النخلَ
واستمسكى
بما يلدُ الرملُ..
وعودى إلى الفضاءِ الطليقِ
إن ميعادك القريبَ يناديكِ
فلا تفلتيه،

ساعةً يأتيك،

ولا ترضخى..

لصخر المضيق

رحلة أنت بين ماءٍ ورملٍ

عبثاً ترتوين!

لا أنتِ موفورة الغمرِ

ولا فى الوطابِ غيثٌ

ولا الغيمةُ توحى..

ولا السرابُ يوافيكِ

فتعريّن..

فى المسيلِ الدفوقِ

تحت جلدى سكنت..

هذا هو المأوى

فكونى دمي،

وكونى رحيقى

مثلما تحلمُ النباتات في الأرض

برىُّ

يأتي من الغورِ دفاقاً

وسرُّ

من الصفاء العميقِ

موكبٌ في الثرى

وعرسٌ على الماءِ..

وعرشٌ قامت رواسيه كالطودِ،

ومزمار عابرٍ في الطريقِ!

لاتقولى غفوتِ..

هذا الذى يحدثُ في برزخ صحوى

وفى تلافيف حلمى..

يدعوكِ أن تستفيقي!

رحيل النوارس

النوارسُ في ثبجِ اليمِّ مشرعةٌ
ومدى الأفقِ مزدحمٌ بالشعاعِ
ورائحةُ البحرِ مغريةٌ
والإسارُ الذي في الحنايا تفتتَ
والصبواتُ الحميمةُ تشعلُ ميراثها
وتجاوزُ حدَّ الفراغِ
فيوشكُ يحترقُ الرملُ
ينسربُ البصرُ المتحللُ

فى قطراتٍ،
غشاوته؟
أم نداوته؟
أم هو الحلم؟
يخلعُ بعضَ الأمانِ من القلبِ
بعضَ السكونِ
فيشتعلُ البحرُ،
يشتعلُ الكونُ،
تأتى النوارسُ
تحملُ أجنحةً من لهيبٍ
وتقلعُ باحثةً عن فضاءٍ جديدٍ!

* * *

للوجوهِ الحزينةِ أفعالها..
منْ يفكُّ طلاسمها؟
ويلامسُ أشجانَ عريِّ تكشفَ

فى حدقات يزلزلها البوحُ
وهى تسيلُ،
دموعُ حكاياتها تتناثر عبرَ الرمالِ
- الرمالِ السجينةُ عطشى -
وذاكرةُ البحرِ متخمةُ
والقلوبُ التى تتراجعُ عندِ الوداعِ
تراجعُ أحزانها
وتلممُ هذا النثارَ البديدَ
من الوقتِ
والصيدِ
والجزرِ
والمدُّ
والصبواتِ
فمن يتجاسرُ؟
يخطو..

وهذا هو الموعد الآن..

منقسم أم متاح؟

وفى خطوة العابرين الثكالى

تجلجلُ أثقالها

* * *

فى الهزيع الأخير من الليلِ

ها أنتِ شاخصةٌ..

كالفئارِ الوحيدِ مع البحرِ

تعوى لديكِ العواصفِ

يلطمكِ الموجُ..

إنَّ المرافىءَ ليست تُتيلُ

ولا السفنُ الغائبةُ

ترتضى لحمولتها

شفقاً ذاتياً

ومسيلاً من الحسراتِ

وعاصفةً من شجنٍ
في الصخور ملاذك
صخريةً أنتِ..
لا،
لاتبوحى
فقد تحملُ الريحُ سركِ
أو ترتديه النوارس وهى تغادرُ
قد يتقاذفه الموجُ
أو تترامى به نجمةٌ غاربة!
ساعةً ويُطلُّ الصبحُ
فلا أنتِ جاهزةٌ للرحيل
ولا أنتِ مشدودةٌ للبقاءِ
ولا أنتِ مفصحةٌ عن محطاتك القادمة
هل هو البحرُ؟
يلغى المسافاتِ والأزمنة؟

هل هو العمرُ؟
ينفرطُ الوقتُ
تسقطُ حباتُهُ في الرمالِ،
وتدركها وحشةُ الأمكنةِ!

* * *

النوارسُ في ثبجِ اليمِّ
نورسةٌ أنتِ، شاردةٌ في البحارِ
وهائمةٌ في المدارِ
وممعةٌ في الفرارِ
فهل آن أن تستريحي؟
قراركِ موتٌ
سكونكِ فوتٌ
حياتكِ أرجوحةٌ وانفلاتٌ
خيوطٌ بها الوهمُ مشتبكٌ
وفضاءٌ

كألوانِ قوسِ قزحٍ..

هل يعودُ الفرحُ؟

للعيون التي من زجاجٍ تسيئُ

وأنتِ مواربةٌ بعضَ نفسكِ

لن يهدأ البحرُ،

إنك لا تتمينَ لهذي الشواطئِ

فانخلى

واستديري

الأسئلة

إنها ساعةٌ ويحطُّ الرحيلُ
فبا وجع القلب كنْ لى علامة موتى
وشاهد وقتى
وخارطةٌ بدوُّها فى دمتى
ونهاياتها فى المدى المستحيلِ
إلى أين تمضى؟
وكلُّ البلاد سهامٌ مُصوّبةٌ
والفضاءات فاغرةٌ،

والهواءُ المدمى ثقيلٌ
كانت الأرضُ متكأً
والسماءُ جدارًا
وهذى المياه المحيطةُ تنهلُّ شعراً
ولؤلؤةً
ونجومًا تميلُ مع الموج حيث يميلُ
إنَّ قافلتي بالعرابِ،
ووجهي للشمسِ منشعبٌ،
والمدائنُ شاخصةٌ كالقبورِ،
وفى حبة القلبِ ذاكرةٌ للدمارِ
ونارٌ مدوّمةٌ
وسحابةٌ زيتٍ
وطيرٌ على شاطئِ اليمِّ مختنقٌ
وزمانٌ ذليلٌ!

* * *

هذه الأسئلة

مطرٌ أسودٌ،

مطرٌ كالرصاصِ،

فيا وجع القلب لستَ الطريقَ الذى أبتغيه

ولستَ الجوابَ العصىَّ

ولأنتَ منقذَ رأسى من المقصلة!

إنَّ هذا الفضاءَ الذى كان متسعاً قد تراجع

والأفقَ المستديرَ تآثر،

واللحظةَ الفاصلةَ

شطرتْ هامةَ العاكفينَ

على الساحةَ المرسله

إنهم يحلمون بأن غداً قادمٌ

وشراعاً يلوِّح عند المضيقِ

ووجهاً تضىء بشارته للحيارى

وصوتاً جديداً يطلُّ

فتخرسهُ الطلقة القاتلة!

* * *

ياصحابى الذين أعود إليهم غريبا

أداورهم عن مدارى

وأحملُ وجها كئيبا

وعينين فى الرعب عاكفتينِ

على جثثٍ فى العراءِ

وعاصفةٍ فى الدماءِ

وفاجعةٍ تشبه المهزلة!

إنها الأسئلة

حين تفلتُ منا : لماذا؟

وتفلتُ بعد لماذا؟ متى؟ ثم أين؟

وتهتزُّ فى بوبؤ العينِ

ساريةً فوقها علمٌ يتفككُ

تهوى نجيماته فى قرار الخليجِ

ما الذى سوف نحكيه بعد لياالى النشيح؟
حين تسألنا أعيُنُّ للصغارِ
توقف فيها الزمانُ المخيف
ما الذى نحن فيه؟
ما الذى نرتجيه؟
حين تفجؤنا ساعةُ الزلزلة
حين تنهمر الأسئلة!

طائر الصباح والمساء

هل آثر الرحيل حين أُحمد الصمم
وطاشت السهامُ في أيديهمو.. مصوِّبة
إلى مواطن الصفاء والجمال!
تصيدُ طائرَ الصباح والمساء
وتقتلُ انبلاجة الضياء،
في عيون الطيبين الوادعين

* «في رحيل الموسيقار محمد عبدالوهاب»

وتملأ الفضاء بالعدم
فأين جلوة الزمن؟
وأين هورة اللحن الشجي
وانطلاقة النغم؟
تحملنا إلى القمم
تفسلنا من الألم
تردنا إلى ينابيع من السحر المصفي
والمدى مدنن
والصوت يفرش المكان،
بالأمان، والحلم
كانت «هالو» على فمة..
تفتح أبواب القلوب الموصدة
تساب رنة الكلام،
مثلما
رفت طيور في السما

مفردة

قراره الرخيمُ مفعم الشجى

ودفنوه

يشعُ فينا موعده

وكلما أفاض في آهاته

تناوح الليلُ الصئدي

وأدرك الجرحُ الدفينُ موعده

كانت «هالو»

تعلنُ عنه،

حين يصطفى مؤانسه

وحين يمتدُّ به الليلُ،

ويجفو مرقده..

يخلقُ الفكرُ الشروءُ في المدى

ويسبقُ العقلُ المشعُ

جارفًا

وسابقاً مع انطلاقهِ غدّة

كانت «هالو»

نداءهُ عند اللقاءِ..

وانحناءَ القلبِ الملىءِ بالصفاءِ

وانطلاقةَ العمرِ السخىّ بالفناءِ

كانت جبينهُ...

مُرحباً

كانت سلامةُ..

كانت يدُهُ!

* * *

الدوحة التي ارتوت جذورها في طين مصر

مثقلةً أغصانها تحت عناقيدِ النغم

كم عششت في صدرها،

أشواق عاشقين ذائبين في انهمار ماء النيل

وفي امتداد زرقَةِ السماء

الدوحة التي نَمَتَكَ - ما تزال
تهتزُّ للنسيم، والأنداء
حالةٌ
بطائر الصباح والمساءل

القزم

أيها القزم الذى يعرف نفسه
مثلما يعرف دودُ الأرض رسمه
أنت لن يجديك أنْ صَعَّرْتَ خدكَ
لا،

ولن يجديك صوتُ يملأ الشدقَ،
ويستعرضُ مجدكَ
لا،

ولا عصبَةُ إفكٍ

تتراءى لك جندك

لستَ إلا شِسْع نعلٍ يتدلى في الهواء
كلما طرَق فوق الأرضِ أطلقتَ العواء

وتحليتَ بسمتِ العلماءِ

وحديثِ الأصفياءِ

رخصَ العصرِ،

وهانِ الناسِ،

واشددَّ العنقِ

فتجشأ

كلما هرولت في سيرك المآذب

علها تطفئُ جوعاً فيك لا يروى

وغلاً ليس يهدأ

كيف ترجو أن يراك الناسُ صديقاً نبيا

وشريفاً، وأبياً

فتأملْ وجهك القابعَ في المرآةِ،

كم تبدو خسيساً ، ودنياً
واغتمَّ عصراً زرياً
كم يوازي قامتك
وزماناً لاترى عيناهُ رجسك
أيها القزم الذى يعرفُ نفسه
والذى يجرفهُ العارُ،
فلا يرفع رأسه
عَرِيَتْ ذَاتكَ مِنْ ذَاتكَ
فاستجلبتَ حمدَ الأعدياءِ
ولجاجَ السفهاءِ
ما الذى تجمعُ حوليكَ
خواءٌ فى خواءِ!
لا تصعّرْ خدكَ التّيّاهِ
إنّا
لم نزلْ نذكركُ أمسك!

وقت.. لاقتناص الوقت

الاعمال الشعرية ج ٢ - ٢٨٩

إلى
لؤلؤة
نادرة
تزين
صدر
حياتي

فاروق شوشة

عصفور الحلم

من يطلق عصفور الحلم؟
من كوة هذا الليل المطبقِ
والأفلاك المستلقية على جنبات اليم؟
الأفق براحٌ للمعنى
والوقت السّاجي نزفٌ يسكن موسيقى
وهواجس هذا القلب بشائر غبظتنا الأولى
من يشعل هذا الكون حريقاً، ودخانا
ويناطح صخر الجبل الأجرد حيث يُطاوُلُ عنق الليل؟

حتى يتدفق زمنُ السيل
من يطلقُ عصفور الحلم ويصمداً في واجهة الويل؟
عصفور واحد

يخلع عنا هذا الزمن الجهم!
نيرانى تصنع أسلاكاً ممتدة
وأنا أتشابك في دائرة الشوك وأمضى
يثقلُ رأسى إذ يحملنى
وينوء بكابوسى الليلى،
وهذا السعف الأجرد بعد حريق النخل
أخطو،

هذا زمن العمر المحل،
وهذى شرفةُ بركانٍ يثمرُ عدماً أسوداً
هل تنفياً هذا الظلُّ
وتمعن في حبل غَوَايتك العجلى

حاذرٌ

قد ينقطعُ الحبلُ!
الأسلاكُ الممتدةُ،
والبركانُ،
وهذا الكابوسُ الليليُّ،
وهذا السعفُ الأجردُ
هذا العدمُ الأسودُ
هل تملكُ تفسيرًا لهواجس هذا الليل الممتدَّ
وخيطًا مشدودًا للفهم؟
من يطلق عصفور الحلم؟

عن القمر والعصافير

للعصافير أن تستريح،

وأن تتأهب ثانية لاحتواء السماء

وأن تتطاير في الأفق

مثل نثارٍ بديدٍ من الضوء

يسقط في شرفات الفضاء

ولها أن تصفق حتى النخاع

وأن تستثير حناجرها

مرةً للغناء

وأنا لشوط البكاء
إنها الآن تمتلك اللحظة الفاصلة
وتجرب موضعها في المسافة
بين السقوط إلى حافة الأفق المترنح
حيث يموت الشعاعُ
ودفع الجناحين صاعدةً
في مدار الهواء
ولن هذه الغابة المشتهاة؟
ومن ساكنوها؟
ومن؟
ليس غير الرياح تجيبُ
وفي البعد عاصفةٌ تتجمعُ
ليلٌ قديمٌ يهلُّ،
وأعشاش طيرٍ تمادى
فأسرف في زقزقات التفاؤلِ

حلم الأمان
وإسعادِ ألافه باللقاء!

* * *

والقمر...

ماله ساهماً!

والسحابات ترتاحُ فوق الجبينِ

الذى لا يبينُ

وتعبرهُ حين تقلعِ فى اليمِّ،

فى زرقاة اللازوردِ

وتترك من خلفها شفقاُ ذائباً

وبقايا حديث قديم

إنه موعدٌ للصباياتِ

تفرحُ فيه النسورُ

وتتشقُّ فيه الجحورُ

ويرحل فيه الجسورُ

وراء النداء المِراوِغِ
خلف الزمان المقيم
وفضاءً . كما يعشقُ الله .
صيادُهُ شاخص لا يريمُ
فى يديه الرصاصُ
وأنشوطة اللهو جاهزةٌ
والمنايا تحوم
وترفرقُ،
حيث مضت تستحمُّ النجوم!
يا قمرّ..
هل تظللُ يورِّقك العدلُ
ينتابك الذعرُ
فى زمن شائهٍ
ورجيم...؟
دع مكانك،

واهبط إلى حيث تأوى العصافيرُ

لاهنئةً

واصطدم بالتخوم!

إن هذا الذي يتشكلُ

عبر امتداد شعاعك

موقد جمرٍ

وحفريةً من سدوم!.

بينى وبين البحر

بينى وبين البحر واجهةً مخضبةً
وأفقٌ من رصاص
وروائح البارود ما زالت
وأصداءُ المعاركِ
تحتها الألغامُ كامنةً
وأقبيةُ اللصوصِ الوالغينَ
الفارسين بلحمنا ووطناً
لأحقاد التواريخ التى سلفتُ

وقد بات اغتصاب الكونِ والأزمانِ،
وقتاً للقصاصِ..

من يُسقط السد المنيعَ

وقد تراكم بامتداد العمرِ؟

إن دم الضحايا يستحيل حجارةً

وجماجم الموتى تطالعنا

وتتبت فى حنايانا شجيرات من الشوكِ العصىّ

ويدلف الوعد المراوغ بالسلامِ

ليسحر الحمقى،

يهزول نحوه الجمعُ الشتيتُ

وقد تمرغ فى الرغامِ

ويسقط الشرف الرفيعُ

ولامناس!

* * *

هذا طريق الموتِ

مفتوحٌ على لغةٍ تعرّى ساكنوها
فالهوانُ بلاغةٌ
وتراجع المدُّ الجليلُ زعامَةً
وخيانةُ الموتى
سبيلٌ للخلاصِ!.

كلام عن السلام..

(إلى العدو الذى كان... وما يزال)

كم تكابِرُ؟
بل تتوقع منى الذى لا أطيعُ!.
تدقُّ على البابِ
ينفتح البابُ
تصبح من زمرة الأهلِ،
متشجِّعًا بالأمانِ
ومختلطًا بنجاوى العروقِ

ومتكأ حيث كان لجدى مكاناً

لتشرب قهوتنا

وتغنى حكاياتنا

ثم تحمل أسماءنا

وتسابقنا فى الحنين الذى لا يجفُّ

وفى فوحانِ ندَى لا يفيق!

تتوقع منى الذى لا أطيقُ

وقد صرت فى داخل البيت

تلقى سماسرة يُهرعون

أدلاء للركب يستبقون...

وتلقى الذين يبيعون أوطانهم

جاهزين

وقد شربوا سلفاً دمهًا..

واستذلوا جرانيتها

ثم عاثوا فسادًا..

وتلقى أشاوس كانوا

وقد أصبحوا

خدمًا

يؤمرون فيأتمرون

ويلتمسون إشارة هذا الغريب الدخيل

وأنت تمارسُ أقتعة الضيفِ

لعبة كل اللصوص العتاةِ

وتلقى علينا السلامَ

فيا للزمان الغريب الصفيق!

* * *

الفضاء الذي لا يُحدُّ

الوجود الذي لا يُمدُّ

السؤالُ الذي لا يُردُّ

هو الزمن الغادرُ المتسلُّ

فينا،

ووجه انبعاث الرمادِ السديمِ

وأنت تصاولنى وتراوغُ

أنت تقاربنى

وتخادعُ،

تكسبُ فى خطوتيكَ

اقترابا، وبعداً

مراوغةً، وانعطافاً

تعاودُ..

أرثى

لكل الأولى أكرهوا

كى يكونوا جلوساً معك

ها،

وهم يجهدون لكيلا تلامس أقدامهم موضعك

ها،

وكيلا تشم أنوفهمو

عطر هذا الدمار الذى كلما سرتَ

أقسم أن يتبعكَ

هاهمو فى موائد هذا السلامِ العجيبِ

يرون الألاعيب منك،

وأنت تدبّر صيداً

وتحكم كيداً

وتشتط جداً

أليس الفضاء فضاءك

والماء ماءك

والزمنُ المستبدُّ زمانك

من يملك الآن للبقى رداً؟

* * *

طلُّ عابراً

ورمالاً تطاير من تحتها جمر ذاك الزمان القديمِ

وعاصفةٌ فى الضلوعِ

ودمع من الجمر منعقدٌ

وكلامٌ له لغة لا تقول!

وأنت تلاحقنى..

وتحاول غرس السلام الذى لا ينيلُ

تحاول صيد القلوب التى تستميلُ

ليمتدَّ فى الشرق ملكٌ ظليلٌ

ويخلو لك الأوسطى..

ومن قبلُ

تخلو العقولُ

فكيف نصدق أنك وجهُ الزمان البديلُ

وما بيننا ما تزالُ الدماءُ

الدماءُ التى ما تزال تسيلُ

وما بيننا

قاتلٌ وقتيلُ

وما بيننا

فخُّ شكُّ،

وسدُّ،

وخارطة تستطيلُ

وها أنت، ها

تتوقع منى الذى لا أطيعُ

يدا لك تمتدُّ،

أو بسمَةٌ فى العيونِ،

ولمعةٌ ود تألُقُ فوق الجبينِ

وفنجانَ شايٍ يدور عليه الكلامُ،

ومتكأً لك فى بيت أهلى

فيحلوا السلامُ

وهذا هو المستحيلُ!.

إنها تعبر المسافة

لم تعد مستحيلاً،
إنها تستحمُّ في نهرها الآنَ
وترخي جدائلَ الليلِ
من حول جياحٍ
وفي نهارٍ مراوغٍ
ثم تمضي لوجهةٍ
يعلم الله مداها
. وقد تجيء ارتجالاً .

محفوظة بالأقاويلِ

- وقد لا يكون ثمة ما يفرى -

وحدُّ السنانِ في القلبِ والغُلا.

هل تريدونها؟

تعالوا..

أريكم أين كانت..

وكيف صارت..

وماذا يتبقى من عطرها

حين تمضى..

إنها تعبر المسافة ما بين انطفاءِ السماءِ فينا

ولهو أرضٍ بأرضٍ

لو رأتنا.. أغضت حياءً

ووارت وجهها

عن بشاعة الكونِ فينا

وعن ملاحمِ بفضٍ!

السباعُ العطشى إلى مرقِ العظمِ
تنوش الذين فى خدر الوهمِ
يرون الأمانَ مازال ممدوداً
وحبل الحياة يُرخى ويمتدُّ
على حالتى قبولٍ
ورفضٍ..

كنستهم عواصفُ المشهدِ الدامى
هباءٌ يطير فى الريح كالذرُّ
نثاراً..
يرمون بعضاً..

ببعضٍ
لم تعد مستحيلةً..
إنها الآن تدلّتْ
فأصبحت قباب قوسينِ
وغامتْ..

فلم تعد تتقراها
عيونٌ منهومةٌ للمحِ
جوعى..
لكنها طيُّ غمضٍ!
حسبُها الآن أنها وقفت حيث ترانا
وحيث شاء هواها
وحيث ضاق مداها
وحيث ترنو..
وتُغضى!.

احتجاج

لقيتهُ يصرخُ في البرية
منادياً بالويل والثبور
عيناهُ كومتا لهباً
وملء شدقيه نثاراً من مراحل الغضبِ
ورأسهُ منحدرٌ إلى الوراء
يوشك فوق ظله يقع
الخطوُ يضطرب
واللغو يقترب

وفورة الزحام تفتلى

وتسحب

لكنه . كأنما بلا سبب .

يخوض فى عظام الأمور

والنفس المهتاج فى الضلوع يصطخب

وتبرق العيون حوله، كأنها رقع

تفحصه، تصنّفه

سرعان ما تدوسه وتجرفه

ويستحيل ومضها المندesh المذهور

إلى بقع

تداح فى دائرة الفراغ والسكون

لكننى رأيتهُ

كأنما فى ذاته المهملة المنسيّة

تسكنُ ما تزال

بقيةً من نفسه الأبيّه

مشرفةً على الجنون!

* * *

أمسِ اختفى،

ولم يعد..

هل مات؟

لا يدري أحد

أم أن حُبْسَةً أصابت صوته المشروخ،

فانعدّ

كأنما احتجاجه الطويل

مضى سدى

من غير أن يزلزل العباد

أم أن شرطة الطريق أوقفوه

حرصاً على نظافة المدينة التي هي عارها

تجوّع أو تلدّ

مهما يكن..

فإن صوته هناك ما يزال
مختبئاً في الطلقة المنكّمة..
والصيحة المنبهمه
يحلم أن يحركّ البلاد.

الذبح والسكين

فى البدءِ كان الذبحُ والسكينُ!
فهل تحسستَ عروق الرقبة؟
وهل تعقبت دماءً فى الثرى منسكبة
وخافقا منسحقاً
ينساب كالبخار صاعداً من الوتين؟
وخيط ماءٍ من بكاء الروح
من تململ الشجونِ

* (الى نجيب محفوظ: المبدع والإنسان)

فى الفرائص المشتبكة!

القشرة التى ظلت تخالسُ الوجوه ساعةً من الزمانِ

سرعان ما تشققتُ

وانحسر النقابُ

فجلجلتُ شريعةُ الذئابِ

وانطفأ السلام فى العيونِ!

* * *

يا أيها الشيخُ الذى تتودهُ خطاه

الطعنةُ التى تخيرتكِ عمَّدتكِ بالدماء

وجمَّعتِ أنفاسنا المذعورة المضطربة

وشملنا البديداً فى مادب الكلام!

يا أيها الشيخُ الذى تحملهُ عصاه

أىّ ظلامٍ قابِعٍ تشقهُ عيناكِ؟

وأىّ عطرٍ نافذٍ ينثرهُ شذاكِ؟

وأىّ فصل فى رواية الحياةِ

لم يزل هناك؟
الدربُ مثلما عرفتُ،
لا تظنَّه اشتبهَ
ومثلما وصفتُ،
من سواكَ يعرفُ الداءَ المقيمَ
ملءِ النفوسِ الخريةِ
ومن سواكَ يستردُّ الآنَ وجهَهُ المضيءَ
من بينِ أكوامِ الوجوهِ الكذبةِ
منارةً
لا تشجبُ الحروفَ عندها،
أو تلتبسَ
فلم يعدِ يجدى تسكُّعٌ على الضفافِ
ولا تمسِّحٌ فى حائطِ المبكى ولغوهِ المبينِ
ولا انتظارُ البركاتِ فى أكفِّ الطيبينِ الحالمينِ
فمنذُ غابِ الوحيُ عن سمائنا

وانبت حبله المتين

ما عاد يجدى أن يقال:

اشتعل الغاب،

وعريد الجنون!

* * *

هل نحن ذابحوه؟

نحن المنافقين والأوغاد واللصوص..

والقابعين فى رهان الخلط والتخليط، يُفتون ويعبثون

والمارقين فى دهاليز الكلام..

أو مباخر النصوص

والباحثين عن شريحة من جثة الوطن

ليصنعوا وليمة الذئاب

لعلها أن تُشبع البطون!.

والصامتين..

لم ينافحوا..

ولم يحركوا السكونَ
لكنهم، بدورهم، يراهنون!

.....

فى البدءِ
كان الذبحُ والسكينُ
وفى الختامِ،
كلنا المضرَّجُ الطعينُ!

وقت لاقتناص الوقت

وهجٌ يسطعُ من ياقوتةِ الليلِ
ونهرٌ شبقٌ يركضُ في بريةِ الحلمِ
ووقتٌ صاهلٌ بالرغباتِ!
أنتَ في المرأةِ...
والمرأةُ في عينيكِ
هل ثمَّ اختلافٌ واتفاق
فأعرها ما تُعيرُ الريحُ للفضى
وبادرها عناقاً بعناق

إن هذا الطل الشامخ

مرصودٌ..

وفى أيقونة العمرِ

حياة تتصبى

وموات

والذى يلقي به النهرُ

أراجيفُ..

وفى الشطآنِ مازالت تثن الصبوات

وهج يسطعُ!

أم فجرٌ من الشكِ مراوغٌ؟

دعه - لا بأس - يمر الآن من خارطة الوهم..

وأطلقه، كما ينساب سهم الموتِ

من قبضة صيادٍ

بهذا الليل والغُ

ما الذى يبقى لكى تخسرَ..

والموجُ إلى الأعناقِ بالغِ!
لن يعودَ الوجدُ للنهرِ
ولن ترجعَ للقلبِ النبوءاتُ
ولا النخل الذي طالَ وشيخُ
قادرٌ أن يحنَى الهامَ
ويرتدَّ وثيداً
مثقل الخطوِ
يعزى في جنازِ الريحِ
فالموت الذي نلقاهُ
موتٌ محكمٌ الأطرافِ سايغِ!
فتدثرُ..

قبل أن يزحفَ في القلبِ
شتاءُ العمرِ..
والليلِ يبالغُ..

إنه وقتِ اقتناصِ الوقتِ

إطلاق الخيول الدُّهْمِ
في قلب فضاءِ النَّزواتِ!
وتلَفَّتْ..

ليس ما ترجوه من حولك -
والفائز في الحلبَةِ
عِنِّينُ
يسوقون إليه الكلمات!

لؤلؤة المجوس

فى شبق الأرض،
وفى لؤلؤة المجوس
قصيدة مربية تجوس
طلّ يذوب،
دمعة تنهل
ماردٌ بثقله يدوس
وجثث تطيرُ فى الهواءِ
تحتها تحملقُ الرؤوس

من أنت يا نجماً يُطلّ
مثلما تختالُ في جلوتها عروس؟
نذير شؤم أنت؟
أم وشايةٌ
أم صاحبٌ أنيس!
وما الذى يُطلُّ فى يديك؟
حريةٌ
أم وردةٌ ميتةٌ..
تعافها النفوسُ..
حذارِ يا نجمٌ...
ففى المدارِ ضجةٌ
وفى زحامِ القومِ..
قاتلِ يثوس!

* * *

فى شبقِ الأرضِ

وفى تعاقب الفصول

ثُمَّ نهارٌ واسعٌ

وثُمَّ صدرٌ واجفٌ

وخطوةٌ ملول

وساحة..

لذلك الذى يقول وهو لا يقول!

وأنت كونٌ هائل..

ونقمة توقدت..

وعالمٌ ملول

وأنت وحدك الإله والتبِعُ والرسول

مندفعٌ فى لغةٍ..

يمشى بها الفضول

عجلاً

طقوس الذبح قد هاءت

وهذى ساحةٌ...

ولا دليل..
الوقت شاخصٌ
وأنت شاهدٌ
وقاتل.. قاتل!
والزمن المحنُّ غائرُ الخطى
مرتطم بغيره
وحائط يميل
هل أنت مَنْ أَحْبَبْتَ!
واستجرتَ
عندما عبرتَ
وانطفأت.. ٩.
أم تُراك ظلُّ خادعٌ
وموعدٌ مراوغٌ
ولا سبيل!

تراجع

أتجول في ذاكرتي

أتراجع؟

- لا أنوى أن أتراجع -

يهدل في سمعي صوتٌ ملتاغ

وترفرفُ أجنحةً لطبورٍ غاريةٍ

ويغيب شعاع..

أستغرق..

لا أنوى هرباً..

وفرارًا من أسنِ الكونِ

مذاقِ اللحظة

طعمِ الخيبةِ

أو إحساسِ ضياعِ

لا أنوى...

أنوى أتراجُعُ

حيث براءةِ حلمٍ وئدت..

هل تنفخ فيها من روحك؟

تبعث في الأعضاء حرارتها

فيسيل الماءُ!

وتسهل - في الصدر - الأشياءُ

هل أنت جديرٌ بالمسعى

وطوافِ البيتِ

وحملِ الصخرةِ باستمتاع؟

مثلك لا تُريكه الفوضى

لا يقهره شجنُ الناسِ

ولا يُغريه أىّ قناع..

فاغرز سكينك فى لحم الليل العارى

ناولنى بعضاً مما أعطاك الله

واسكب خمرك فى كأسى

وتولّ بعيداً عنى

.كى لا أنظر فى عينيك .

فأجبين

أو أتراجِعْ

لا،

لا أنوى أن أتراجِعْ

ثمَّ طريقٌ يفضى

ونهاياتٍ أقربُ مما أمّلت

وجهٌ يقبع فى ذاكرتى

أنهضُ

هأنذا أتقدمُ

لا أتعثُرُ..

أخطو..

ماذا..؟!

ثُمَّ فضاءٌ يُعولُ فيَّ

أزيرُ رياحُ غضبي تسكنني

وصريرٌ يعلنُ عن أبوابِ راحتٍ ترتجُ

وتوشكُ أن تتهاوى

أعدو مذعورَ الخطو

وأحكمُ من نافذتي

أدركُ أني منسحبٌ

خاو

أتكفُّ بعضُ فُتاتِ الوقتِ

.....

وأفقدُ ذاكرتي!.

انشطار

فى عصر الانشطار

ها أنت طرفاً حائرٌ

شنته المدار

وكلما استدار ناشراً قلاعهُ،

أو مغمداً فى صدرِ حلمه اليدا

أصابه الدوار!

فهل مضى اليقينُ، حينما احتسبتهُ . سُدَى؟

وهل توقعت زماناً أسوداً؟

عليك أن تراجع الذى عرفتُ
وأن تجاوز الذى أدمنتَ فاسترحتُ
وأن تغوص فى البحارِ
أو تطير صُعدا
بحثاً عن الذى فقدته، أو اكتسبتُ
من قبل أن تصير بدداً
لأنّ فى نصفيكَ
- حين انشطرا -
جرثومة الدمار!.

* * *

ترفض ما تحبه
تحبُّ ما ليس موافقاً هواك
أو متابعاً نجم سراك
ها أنت بين اثنينِ،
نشوة الجنون،

وانكسارِ الهلاك..
هل حكمتانِ حكمتك؟
وخطوتانِ خطوتك؟
لا تستريحانِ إلى نهاية
أو تفضيانِ . مرةً . إلى قطيعة مؤكدة
تحميك من ترددٍ
ومن عراك؟
فما الذى دهاك؟
أدمنت هذا الفخَّ من تقلب المزاج..
وأنت فى المابين..
يستهوِك صيادٌ
وتُدْمِك شباك..
وحيثما أوتيتَ للفراش،
حينما أحكمتَ خلفك الرتاج
وانبطحت رغائب عاتية مدمرة

كانت تتوش في دمك
كأنها أزيز حائطٍ من الزجاج
ينهار تحت قبضة الفولاذ
أو تتاطح الأفلاك..
تنهار حكمة لم يدرها سواك..
هل كنت عارياً؟
فخفت من نُجَيْمةٍ رصينة تراك؟

* * *

لا تكتب..
دع عنك ما يريبُ من دوائر الخجلِ
وستر ما تظنه الفضيحة..
فكل ما تفعله، يفعله الجميع
لا الأبق الوحيد أنت..
ولا الذي عيناهُ في الجنة والنار معاً
والآخرون - مثلما عهدتهم - منشطرون

فارغونَ

زائفونَ

والغونَ فى الفضائل القبيحة!

يسعون سعيك الحثيث لالتهام هذه الذبيحة

والفوز بالذائد المحرمة

فمن يعفُّ؟ لا أحدٌ

والعاجزون استسلموا للحكمة المريجة!.

* * *

أحلم باكمال تلك الشجرة

هذا التوحد الحميم فى وداعة النسيم وانطلاقه العواصف

والنزق المشبوب فى عروقها

يمور مثلما تدمدم القواصف

سكينة مريبة، ودمدمة

وفورة عتية، وهيئمة

وأنت فى ظلالها ملتحفٌ، ومرتجفٌ

تظنها متكأً ..

ما عاد يجدى الاتكاء

ولا انحناءة في فيئها الممدودِ

باحثاً للقلب عن سقيفةٍ، وعن غطاء

وللعيونِ المُشرعاتِ

عن سكينَةٍ، وعن صفاء

وحين أسدلت شعورها

وانساب صفصاف ينام وادعاً على الكتف

أدركتَ ما بين السحاب والبروق

ما بين جلوة الغروب والشروق

ما بين سكرة الصبوح والغبوق

من حكمةٍ جذلى

يئودها الترف!

ومن تناغم يزفه الثرى إلى السماء

في صدر عاشق يداه تفرقان في الدماء

ونجمة قتيلة
أودى بها الحياء!
من يوقف الحمى
ومن يصادر الرجاء..
ومن يطامن الغلوّ والصلف؟
وهو الذى لم يقض منها وطرة!
ولم تزل مساحة لطائر أو حشرة
يولدُ
أو يموتُ
فى اكتمال تلك الشجرة!

ممعن فى الیقین

داخل فى یقینه

كلما أوغل..

فاضت سماؤه بالعطايا

تستضىء الحروفُ من قبسٍ منه،

وينثالُ بَرَقُهُ كاندلاعِ الجمرِ

شبت نيرانه..

فى الحنايا...

رحمُ الأرض مائجٌ..

والذى يسكن فيه

مشوة،

وانتسابُ السماء ما عاد يجديه

«الثرى» تائرت

و«سهيل» فى ساعة النزع مخنوقٌ

وفى الأفقِ هاجسٌ...

وشظايا

فى عروق الشتاءِ تتنفض الرغبةُ

حبلى

وتستفيقُ أساطير عجافٌ..

وشاعر القوم أعمى:

ربابةٌ وحكاية

هاك وقت اليقين..

لا تسألِ الآن..

ولا تعترفْ بغير خطاياك..

فالأرض مملوءة بالخطايا

أى ماءٍ وردت؟
أى طريق سرت فيه؟
هذى دروب القهر تسعى
محفوفة بالمنايا
لا تُشحَّ..
واستدر إليها
وبادرها بطعن..
لكى تشق الخفايا
واتخذ من ظلال رمحك إيقاعاً
ومن جلوة السنان مرايا
وانتبه..
إن فى أصابعك الجمرَ
ومن حولك غاصت مدائنٌ
فاستحالت..
جوارياً وسبايا..

* * *

شجنٌ نازفٌ

وعزف على أوتار دنياك مشدودٌ،

وفى قبضة ريح

تجمعت كلُّ فجأجِ الأرضِ

سُدتْ جميعها فهى تقصيكَ

فتأى

وفى صدركَ يقعى مخرجٌ

يتعايا!

هل تقيمُ الحدادَ؟

لا القوم يبغونَ...

ولأنت طليقٌ

ولا الساحة تغرى

ولستَ تدري النوايا

ممعنٌ فى اليقين

هيهات يرضيك احتمالٌ..

وتستبيك مواعيدُ
لها طعمُ افتضاضِ السرِّ
ها أنت منهكاً قد حملتَ الكونَ
وسدته فوق قرنيك
وفاخرتَ ..
من تفاخر؟
هل تدري؟
جماجمًا ..
وضحايا!
ليتني أرتضى الذى قد تعشقتَ
وأمعنتَ لديه
غوايةً ...
وانعطافاً ..
كنتُ أعليتُ رايتى ..
وركزت الرمح حولي

وقلت للريح هبّي
فلن تعوقى مدايا
كنت أطلقت ما تكتمتُ
فانهارت سدودٌ...
وحلّق البوح فى الجوِّ
نسورًا تخطفت عصابة الإفكِ
وطوفانَ رجومٍ
يجتثُ هذى الرزايا
ليتنى!
ليتنى!
فهل أملك الآن يقيناً
. كما ملكتَ
وحرفاً مستبدًا
وشاطئًا
ونهايةً!.

عاشق اللون

هل لأنك مختلفٌ
لم تشأ أن يضمك هذا السكونُ البليدُ
الذي ضمنا
فانتويتَ الرحيل؟
أم لأن يديك
- اللتين تجسدتا في فضاءِ الغواية
فامتلكتَ النهاياتُ -
شاغلتاك

فحلقتَ تتشددُ

حلم السكون الجميل؟

أم هو اللونُ طارحكَ العشق

حين تصببتك عيناهُ

أغواك أن تستقلَّ الفراغَ

وتبحث في دارةِ النجمِ

عن مرفأٍ ..

أو مقيل؟

لم تكن واهماً ..

حين عاينتَ وجَّةَ الفسادِ

فأشعلت في الكون نارَ الجمالِ

وأضرمتَ في الكائناتِ اشتهاً التحولِ

والحلم بالمستحيل!

في يدك الخلاصة ..

هل تريدُ طريقاً إلى الحلم؟

إن الجمال الذى يحتويك

هو المرتقى

حين تزمعُ..

وهو السبيلُ

يا خليلي الذى لم يُتَحَ لى اكتناه فضاءاته

أو قراءة أوراده

وهو يسكبُ فى لغة اللونِ

معزوفةً

وانتفاضة قلب عليل

كنت أحسبُ أن الذى نشتهى

أمدُّ قادمٌ..

والذى ننتويه

زمان طويل!

حين أسلمت للريح وجهك

وابتلعك المسافةُ

هل كنت مفترياً .. بيننا ..

فامتطيت المدى

باحثاً عن بديل؟

ممعن أنت في جلوات الصعودِ

وفي دورانِ الشَّموسِ

فمن يستطيع إليك الوصول؟

أنت مستغرقٌ ما تزالُ

ومندمجٌ في العناصرِ

محترقٌ بالجمالِ

ومنبعثٌ في الفصول!

وجه الكون

لا الليلُ ليلٌ حقيقىً
فبخشاهُ..

ولا النهار.. نهارىً
فنجياهُ

وبين هذين.. تيهٌ مد قامتهُ
واستحكمت فى نواصينا مراياه
ظلٌ على الأفقِ
ممدودٌ ومرتعشٌ

وخافق يصطلى.. ترتجُ شكواهُ

لا الليلُ ليلٌ.. فئاوى

ثمَّ متكأً

وثمَّ مدفأةً،

وسامرٌ جاهزٌ

صُنفت حكاياهُ..

نحن العراةُ

تغطينا وتسترنا صفائحُ الليلِ،

تغويننا خفاياهُ

نفضى إليه

فيابُ السرِّ منفتحٌ

والمتعبون حيارى فى زواياهُ

قصر هو الليلُ..

خاو

شائهٌ أبداً

ومعتمٌ وجهه الكابى..

فهل أذنت عيناهُ بالدمعِ؟
إن الدمع تياهُ..
ليلٌ ويمضى
وليلٌ قادمٌ أبداً
وساهرٌ لم يعدْ فى الليل مأواهُ
الصحو ينفحُ فينا بعض جلوتهِ
وفى العروق شظايا من حُمَيَاهُ
الصحو موعدنا يا ليلُ،
دع جَلدى
ودعْ مسيرة يومٍ سوف ألقاهُ
كابوسك الأطلسىُّ السميتِ مفترسُ
كالأخطبوط،
قد التفتْ ذراعاهُ
ما عدتُ وحدى
وقد أقبلتِ متتداً
مستوثق الخطو..

والأهوال أشباهُ

ضيفاً ثقيلاً..

ويأبانا

ونأباهُ

فانفض عباةك الشوہاء

يا ليدِ تسعی

وعین لم تتمّ كمداً

ورفاً وعدّ قديمٌ

هل نلقاهُ؟

فی جوفنا الملح یغلی

وهاتفٌ من فضاء الروح منطلقٌ

ونستمیتُ..

فوجه الكونِ فی حجرٍ

یُشعُّ فینا..

ویُشقینا مُحیّاهُ!

هو الليل

هو الليلُ:

صوتي،

ونطقي وصمتي.

وميلاد وقتي

وريحانتي

وانطلاقة زهوي

وأرجاء بهوي

إذا ما رُحِبْتُ اتساعاً لهذا الوجود

فمارستُ لُعبةً صحوى،

وموتى

وموسم نؤلى

وفوتى

وإيقاع عمرى الجديد!

* * *

وينطلق الحلمُ..

تزهو الفصولُ

وتغتسل الأرضُ

هذا ربيعُ الحقولِ

وهذا أوانُ العناقِ

ولفح ائتلاقِ الزمانِ الجميلِ

وناهدة من عذارى القرنفلِ

تتصبُّ فحَّ الشباكِ

لذؤبِ النسيمِ العليلِ

وتحكم شدَّ الإزارِ

لمتكأ..

عند ومض الشروقِ

ومغتبِقِ..

في ضفافِ الأصيلِ

هو الليل يفصحُ..

في لغة العطرِ

في قطرة الطلِّ

في فَوْحانِ الرغائبِ

مشعلةً صهدها

في جذوع الصبايا

وصدر النخيلِ

* * *

هو الليلُ

طاشت خطى الكائناتِ

وأعولُ عزفُ الرياحِ
وفاضتْ دموعُ النجومِ
وطارت حكايا القرنفلِ
وانداح رجع النداء الطويلُ
وما زلتِ غائبةً
والفضاء حصاراً ومنفى
وهذا الزمانُ البخيلُ!
هو الليل
أشْرعةٌ أحكمتُ للرحيلِ
وفاكهةٌ مشتهاةٌ
ووجهٌ جميلٌ تئاءى
وما من دليل!

وجه لا يطمسه غياب

كلُّ شعاب الأرض تُراوغهُ

- لا يكثرُ ولا يتراجعُ -

وهو يُغدُّ خطاهُ

ويسبق صحَّو الطيرِ

لوطن ناءٍ

ومدى أبعدهما كان يظنُّ

وحلم لا يتحققُ

لكنَّ

كانت عيناهُ ترودانِ خبيئاً
يوشك أن يتشكَّلَ
لمَّعَ سرابٍ
قربة ماءٍ،
أو صحراء..
يلد الوقتُ بديلاً منه،
وتبحرُ في الظن الأشياءُ
ويظل يراوده المجهولُ
وتقفز بين يديه الصبواتُ
وتسهل في الذاكرة الرغباتُ العجلى
وتئن الأعضاء
ها قدرك مرسومٌ في طوقِ حمامة
أو مدفونٌ في بطن الحوت
أوسارٍ حيث تجوبُ العاصفةُ الفلواتِ
وحيث الذرُّ السابح في الريحِ

فانظر قَدْرَكَ

واتبع هذا النجم التائه

حيثُ يغيبُ

وحيثُ يلوحُ!

أمسك بزمامِ اللهبِ الجامحِ

حتى لا يشتعلَ العمرُ

وأغلق نافذةَ الأسماءِ

فوجهُ الزمنِ قبيحٌ

مثلكُ لا يبعدُ عن غايتهِ

فارحلْ..

هذي أرضُ الجذبِ

وهذا الفيثُ شحيحٌ

واحملْ..

. فيماتحمل من تذكاراتك .

وجهًا

لم يطمسه غيابٌ
لا تلغيه شواغلُ
أو تقصيه مغانمُ وفتوح..
يسطع في لحظاتِ اليأسِ
ويورقُ في صحراءِ العمرِ
ويمسحُ من وجعٍ
وجروح..
لولا،
ولولا بعضٌ منه تسرّبَ فيكَ
ملامحُ،
نبضَ خلايا
رقةً روح
كنتَ ضللتَ المسعى
عفتَ العيشَ الخاوى
ما بين شتاتٍ
ونزوح!

وجه أبنوسى

إلى الوجه الذى يضئ لى رحلة الحياة
وفيه من «الأبنوس»
صفاؤه ونعومته
أصالته وعنفوانه.

فاروق شوشة

بدايات

مفتتح

أنا الآن أُبحرُ فزع لغةٍ

لم تكن لغتي

وأخرجُ من لغةٍ

لم تعد لغتي

تخففت مما حملتُ،

وأثقل ظهري،

وشلّ لسانى
فلم يكن الصوتُ صوتى
ولا مفرداتُ البيانِ بيانى
ولكنها صدمةُ اللغة الكاشفةُ
أكان الذى كُنْتُه
غيرَ ما صوّرتُ ذاتِ نفسى لنفسى؟
وحين تكشّف عنى القناعُ
انكشفتُ
تُحركنى الدهشة الواجفة
وتُسقطنى الكلمات على أفقٍ لا يُحدُّ
بعيد المدى
لم يكن ذات يومٍ مداى
ولا وجهتى!

منحنى القوس

هل أنتهى كما بدأتُ؟

أنتِ أنتِ منحنى القوسِ
وأنتِ الدائرة!
وهل هناك - ما تزالُ -
نجمةُ الشمالِ فى مكانها؟
من شُرْفَةِ البيتِ الذى
كان سِياجُهُ المأوى
وكنتِ الذاكرة!
تفجؤنى برودةُ الوقتِ
قريبٌ من يدي بابُ السماءِ
قابعٌ فى عُشِّهِ المَقْرورِ
عصفور اللبالي الماطرة
هذا عويلِ الريحِ
والأشجارِ تعرّى
والنخيلُ ينحنى
وبحةُ النايِ الذى

كنتُ أظنه ابتدا
فهل لديك ما يصون الهاجسَ
الذي تبدّدًا
يُرممُ القلبَ الذي
تنوشهُ الملامحُ المغادرة
من قبل أن يندلع السعيرُ
في عشبِ الجروحِ الغائرة
من قبل أن يشتعل الفضاءُ
بالذكرى
ويخفت الصدى

القصيدة واللون

فوق ظهر القصيدة يرتحلُ اللونُ،
والأقحوانُ المنوّرُ مرتعشٌ في البياضِ
ومنجذبٌ نحو قاطفه عنوةً
واليدُ القاتلة

تتقرّى ملامح هذا الفضاءِ المراوِغِ
تُمعن في سبَر ما يحملُ الظلُّ
من جلواتِ الشرودِ،
وما يتشكّل عند ارتطامِ العبارةِ

باللحظة الفاصلة

المطايا القصائدُ يوسَعْنَ في السَّيْرِ
متكأً للحنين

ويسعَفْنَ عند انتهاء البكاءِ

وعند انطفاءِ الرجاءِ

وعند ابتعاد السماءِ

ويجدلُنْ من حَسكِ البرِّ

أنشوطَةً للنجاةِ

ولوَحًا ..

يُرَدِّدْنَهُ،

ويعاودنَ فاصلةَ فاصلةٍ!

هل تريدُ سبيلاً إلى اللونِ؟

إن المنايا تسارعُ بالأبيض المتفضِّنِ

والأسودِ المُتمكِنِ

فانفذْ إلى عتمةِ السرِّ

واغمسْ بوجهك في اللازوردِ

وعانق شهيق البنفسج
قل للسماء تهيل ثرياتها
آن للبحر يخلع لون جسارته
والبلاد البعيدة تحجبُ سحر غواياتها
فيضىءُ قزح
باسطا فى المدى خطوه المرتعش
لن تعود السماء لعينيك بيضاء
سوداء
والأرضُ قاحلةً،
والنسائمُ مخنوقةٌ فى المدادِ
فثمةَ لونٌ يضى
وعاصفةٌ تتجمعُ
قلب يغادرُ أضلاعهُ
ويسير وحيدا
يظن المواسمَ تفصحُ عن قاطفيها .

ويحسبُ أن البلاد لأصحابها
والسماءَ لطلابها
والمربع مأهولة بالصبايا
ويمضى
يظلّ وحيداً يغنى
ويقبع مؤتسماً بالحكايا
فتفجؤه الطلقةُ القاتلة!

وجه أبنوسى

وجهُ «أبنوسى»

يسطعُ فى ليلٍ مرتعشٍ

فيشيعُ الدفاءَ

ويُطلقُ عاصفةَ الأشجانِ

ويشعلُ صهدَ الشوقِ

ويذكى جمرًا

تأكلهُ النيرانُ!

وجه «أبنوسى»
يضفرُ عنقَ الليلِ
بوهجِ الشمسِ
ويسكبُ فى آبارِ الروحِ العطشى
حُلْمَ الرىِّ
وعطرَ الغابةِ
تسبحُ فيه روائحِ آفاقٍ مشتعلة
تتقصّف فيها العيدانُ!

وجه «أبنوسى»
ينطقُ لا يتكلّمُ
لكنّ
تومضُ فيه الشّفتانِ
وتتطلقُ العينانِ
ويُشعلُ فحمةً وعدٍ كالبركانِ!

وجه «أبنوسى»

وجهك ..

هذا الوجهُ الصافى

مثلُ نسيمِ البحرِ

ومثلُ دبيبِ الجمرِ

ومثلُ رحيقِ العُمرِ

تقطرُ فى شفتىَ ظمآنً

ياسيدتى

ضمى هذا الوجه وصُونيه

لكنّ ...

أبدًا لا تخفيه

هذا وجهٌ يُبعدُ عنّا الأحزان!

وجه يمنحني الغفران

كان الأفق الغائمُ

لا يفصحُ عن بارق ضوءٍ

أو قطرة طلٍّ

تروى عطش القلبِ

وصحراءَ العُمر الصّدْيَانِ

أُفق لا يفصح عن وعدٍ

وسماءً لا تلدُّ ربيعا

وخيوط سود تلتفُ
كما التفت أفعى
فى فحمة ليلٍ مرتعشٍ
تتراقص منها عينانٌ
أفق مسدودٌ
وكآبات حبلى
وزمان يتكسّر فوق زمان!

لهذا قلبُ الوقتِ...
تقلب فيه النجمُ السّاهرُ
وهو يتابعُ خطوَ الفلكِ
ثقيلاً فى أعماقِ الناسِ
خفيفاً حين يضلُّ العقلُ
وعصفاً تأكلهُ النيرانُ
الجبُّ سحيقٌ،

يا مَنْ تُدَلِّي طرفَ الحبلِ
وتطمعُ في جَلواتِ الوصلِ
وهذا قاعُ البئرِ تكشَّف
جاءَ زمانُ البوَحِ
فحطَّمْ سَجَنَ الروحِ
وحاذِرْ دمدمةَ القضبانِ! -
وظلَّعتِ،
كما ينقضُّ شهابٌ،
ومضُ شهابٍ
كان يدورُ غريباً
مَلءَ فضاءِ الكونِ
يفتِّشُ، لا يدري، عن مأوى
ومدارٍ يسبحُ فيه
أخيراً..
كفَّ عن الدورانِ!

ماذا كان؟

هل ضفرتِ ذوائبِ شجرِ الصفصافِ

فصار الشجرُ عذارى

والغدُران مسيلاً من ياقوت

والآفاقُ الممتدةُ عقداً

فى عُنقِ النَّخلِ الفينانِ!

هل حرَّكتِ الكونَ

بلمسة كفٍّ منكِ

بنقرةٍ إصبعك المشوقِ

كعازفِ موسيقى لا يُخطئُ

صارت هوجُ الريحِ رُخاءً

وانسابِ نسيماً

ملء حنايا الصدرِ!

وجاشت دندنة العيدانِ!

هل لامس صوتكِ سمعَ الكونِ

فلما اهتزَّ فؤاد الكونِ

بكى..

فبكينا..

انساب الدمع شجياً

يسطع فيه فيروزُ الألحان

ويغنى لغة البوحِ اثناً!

[من يدري ماذا يحدثُ

حين خلايانا تصطكُ

ويمرقُ شررُ في العينينِ

وتصفى نفسٌ وجدتُ إلفاً

فاخترقت حاجزَ عزلتها

وتخلَّت عن ذاكرةِ الموتِ

لتفصح عن مولدِ إنسان!

هل ثمَّ جنونٌ

أكبر من قفزٍ في اليمِّ

مُخَاتَلَةُ الْأَمْوَاجِ الْغَضَبِي
حِينَ تَجِيثُ بِهَا الْأَنْفَاسُ
رُكُوبِ الْعَاصِفَةِ الْهُوجَاءِ
وَرَشْقِ الزُّورِقِ
فِي الطُّوفَانِ؟
الْوَحْشَةُ تَسْكُنُ هَذَا الْبَيْتَ
وَتَوْغَلُّ بَيْنَ شِعَابِ الْقَلْبِ
فَعَجَلٌ وَارْحَلٌ
لَا، لَا تَرْحَلْ
أَبَقَ وَصَارَعَ سَقْفَ اللَّيْلِ
وَشَارَفَ مَدْنًا أُخْرَى
مُدْنًا أَجْمَلًا
وَانْفَذَ مِنْ خَلَلِ الْجِدْرَانِ [1]
هَلْ أَنْتِ كَمَا اشْتَعَلَ الْوَهْجُ الشَّمْسِيُّ
فَكَانَ الطَّقْسُ الْأَبْنُوسِيُّ

تضئُ سبائكهُ
يتقصفُ فيه شجرُ الغابةِ
تشجُ إيقاعاتُ طبولٍ
تسبح ملء روائحها لغةً
لغةً عارية لم نعهدها
ودفينٌ يطفو
آتٍ من أغوار البئرِ
وكان الظنُّ بأنَّ البئر انطمرتْ
والأيام انطمستْ
فإذا الأعماقُ تكشفُ
حين انشق الليلُ
انكسر الحاجزُ
ثارت نائرةُ البركانِ!
يا للدهشة!

كيف اختلط سعارُ الرغبةِ

- وهو يدمدمُ فينا -

بالأحزان؟

[يا عيني، بكّي يا عيني

فرحاً أو حزناً سيّان!

أتطهر بالدمع، وأمضى

لزمانٍ كفّ عن الدوران

لاغيركٍ يُحكّمُ أشرعتي

ويُغطّي الصدر العريان

لاغيرك يملكُ أسئلتي

ويجيبُ القلب الحيران

يا وجعاً أخشاهُ، ولكنّ

أترقبُ مواعده الرّيان

وجنونا أهواه لأنّي

من غير جنونٍ سَأمان!

ناقوس يقرعُ، إيقاعُ
خالف مألوف الألحان
فى لغةٍ تتساب وتمضى
كالنهر السّاجى الجريانُ
ونسيم منك يُرطبّنى
ويُروى عطش الظمآن
آثام زمانى قد رحلت
يا وجهاً يمنحنى الغفران!]

الوعدُ يقول: غداً
ومدائنُ هذا الليل تقولُ:
غداً..

لكنى أعلمُ أن العمرَ
جميعَ العمر،
يقول: الآنَ
الآنَ!

بين طائرتين

بين طائرتين..
عرفتُ انتظارَ المطاراتِ
معنى اندلاع الزمن
شجنٌ ذائبٌ
يُساقطه الوقتُ
وجوهٌ شتيةٌ اللَّحِ
وأفقٌ بغيمةٍ مرتهنِ
حين أسندتُ مرفقىَّ وحدقتُ

تواريتِ
وقلبي مُثَبَّتٌ بالفراغِ
ومغرورقٌ بانهمار الشجنِ!
المطاراتُ
والدُّوارُ
نداءاتٌ توالى
وعينانِ تتزَّانِ
لظى صاعدٌ
أجلُّ آزفٌ
وانتظارٌ طويلٌ أسنٌ
كيف أرتجُّ هكذا..
كالهشيم الذى يتطايرُ!
كيف أعيدُ اكتشافى
وأنى بهذى الهشاشةِ
هذا الوهنُ؟
ربِّ لم يبقَ مُتَّسِعٌ للخيالِ

تزاحم حولى الفضاءُ
وأغرقتنى فيضُ هذا الجمالِ
فأغفيتُ
مُستعصماً بالحن
بين طائرتينِ
عرفتُ انتظار المطاراتِ
جرّيتُ أن أقتلَ الوقتَ
فى وحشة الأعين الراكدة
راحلٌ فى الدروب التى
انبهمتْ فى المدارِ
أعاودُ ضبَطَ المسارِ
فأعرفُ أين اتجاهى
وأدركُ معنى الوصولِ إلى المستحيلِ
أسافرُ فيكِ .. وأمعنُ ..
مُتّجهاً للوطن!

تراجع

أتجوّل في ذاكرتي

أتراجعُ..

لا أنوي أن أتراجعَ

يهدل في سمعي صوت ملتاغ

وترفرِفُ أجنحةً لطيورٍ غاريةٍ

ويغيبُ شعاعَ

أستفرقُ

لا أنوي هرباً

وفراً من أسن الكونِ

مذاقِ اللحظةِ

طعمِ الخيبةِ

أو إحساسِ ضياعِ

لا أنوى..

أنوى أتراجُعُ

حيث براءةِ حلمٍ وُتدَّتْ

هل تنفخُ فيها من رُوحك

تبعثُ في الأعضاءِ حرارتها

فيسيل الماءُ

وتسهلُ في الصدرِ الأشياءُ

هل أنت جديرٌ بالمسعىِ

وطوافِ البيتِ

وحَمَلِ الصخرةِ باستمتاعٍ؟

مثلكَ لا تُريكةُ الفوضىِ

لا يقهره شجنُ الناسِ
ولا يُغيره أيُّ قناع
فاغررَ سكيناً في لحم الليل العارى
ناولنى بعضاً مما أعطاك الله
واسكب من خمرك في كأسى
وتولَّ بعيداً عنى
كى لا أنظر في عينيكِ
فأجبنَ
أو أتراجَعَ
لا،
لا أنوى أن أتراجَعَ
ثمَّ طريق يُفضى
ونهاياتٌ أقربُ مما أمّلتُ
ووجه يقبع في ذاكرتى
أنهضُ،

هأنذا أتقدمُ

لا أتعثرُ

أخطو

ماذا؟

ثمّ قضاء يعولُ فيّ

أزيرُ رياحٍ غضبي تسكنني

وصريرٌ يعلنُ عن أبوابٍ راحت ترتجُ

وتوشكُ أن تتهاوى

أعدو مذعور الخطو

وأحكّم نافذتي

أدركُ أني منسحبٌ خاوٍ

أتكفّفُ بعض فُتاتِ الوقتِ

وأفقدُ ذاكرتي!

شوقى

هل يأذنُ لى مولائى أميرُ الشعراء؟

وقوفى طال..

وخطوى اللاهثُ مرتجفٌ

ويدي للقىا ممدودة

خلفت ورائى سَيلَ ركافة هذا الزمن الشائه

عُجمة غريانِ الشعرِ

وعُقم الأيامِ

وأوراقاً سقطت من بين الصفحاتِ

فداستها الأقدامُ

تحاولُ أن تتزيًا برداءِ الشعرِ

انطمستُ في اللُّوحِ

شظايا

وبقايا كلمٍ مردودة!

شوقى..

هذى سُدَّتْكَ العُليا

باذخةٌ

والرايةُ فوقك معقودة

أتحسُّسُ خطوى عبْرَ مدارجِ ساحاتكُ

أتلَمُّسُ بعضَ يقينى فى كلماتكُ

وأطالعُ جلوةَ رُوحى فى شُرُفاتكُ

ياقوتةَ هذا الفردوسِ السابحِ فى موجاتكُ

والليلِ السَّاجىَ فى آهاتكُ

والنفسَ الممتدَّ إلى أبعد نجمٍ

ينبضُ في كفيكُ

فيصُبُّ لؤلؤةً

وقصيدة!

أسمعُ عبْرَ الريحِ

بقايا من إيقاعِ الدهشةِ

من أنوارِ الحرِّفِ السَّاطِعِ

حين تُحلِّقُ عيناكِ المستغرقتانِ بعيدا

خلفِ تخومِ الرؤيا

ها أنتِ تُحدِّقُ في ومضِ الغيبوبةِ

تُلقي بشباكِ الشعرِ

وتمعنُ في مسراكِ

تُحلِّقُ

ثم تُحلِّقُ

ثم تحدِّقُ

ترجع بالصيد النادرِ

كوّناً

ورؤى

ومدائن حُلْمٍ مشهودة

يُعيينا هذا الصرْحُ الشامخُ

ننبشُ فيه، ونحن نطوّف

حجراً، حجراً

نتقرّى لونا

زيتاً،

ودهاناً

ومسالك سحرٍ مرصودة!

شوقى..

هل تملك وقتاً لتحاول أن تقرأنا

تحنى هامتك الشّماء

على كراسة أحفادك
وتُنقَّب فيها عن سطرٍ كاد يميلُ
وحرفٍ كاد يقولُ
ولونٍ كاد يحولُ
فتدركُ أن الزمنَ اختلفَ
فصار نثراً من أزمنةٍ معوجَّة
تتداخلُ أو تتقاطعُ
تتقاربُ أو تتباعدُ
لكنَّ..

نصلُّ الشعرُ يُناجزها

في أيدي الشعراء المنسلخين

مذاقاً وهويَّة

ينكسر النصلُ

وينكسرُ عمودُ الشعر

وتأتى

لغة بالسحر جديدة!

شوقى..

اغفر للأحفادِ تجرؤهم

وتطوّلهم

ظنوا أن سياجك مخترقٌ

وزمانك عبءٌ

ورحابك منهوية

أو لم تسبقهم أنت لإشعال النار الشعرية

ها هم يمشون وراءك

يحمل كلّ منهم جذوة ناره

يُضرمها فى قلب الهيكل

تشعل أيديهم فى الكون فضاء الوقت

ويندفعون لشيءٍ لم يُعرف بعد

وغاياتٍ فى أقصى البعدِ

تشاغلُ
ثم تُراوِدُ
والأحلامُ عصية
حاول أن تقرأهم
تمنحهم بعض الوقتِ
وبعض الصبرِ
تدرك أن الشعر اختلف
وأن عباةك الواسعة الفضفاضة
ما عادت تدفء أحفادك
ورباح الرعب تلاحقهم
وخواء القلب
وبرودة أزمنة القهر
فاغضِر للقادم دهشتهُ
وخروج الناس على المألوف
بحثاً عن آنية أخرى

وسلافٍ للقوم جديدة!

شوقى

فى قلب الوحشة نفتقدك

صوتاً

وشراعا،

وخيوطاً تجمعها فى قبضة كفٍ مقتدرة

ونسيج بيانٍ

عُروته الوثقى مشدودة

تشدو،

يتدفق نهر التاريخ

وتتطلقُ الصبواتُ

ويصبحُ وجهُ الشرقِ بلونِ الشوقِ

ووجهُ الأرضِ

بحجمِ العرضِ

ويسرى فى لغة الصحراءِ

يقينُ الماءِ
وتتبتُ في الوديانِ عروقُ الملح
فتتصبُّ القاماتُ
وترتفعُ الهاماتُ
تعانقُ فيك زمانِ الجمرِ
سماءَ الشعرِ الموعودة!

شوقى
الشرق انطفأت فيه الشمسُ
استأسد فيه بنو الأفعى
وانتصب جدارُ الخوفِ
وليلُ الرعبِ
فهل نستسلمُ للأحزانِ
نهادنُ ليلِ الذلِّ
ونعصرُ عنقوده؟

شوقى

لاغيرك يضرمُ وقدَ الثأرِ

ويجهرُ باسمِ الشعرِ

ويُبدعُ لحنِ الموتِ

ويبكي الأندلسَ المفقودة!

.

باريس

بردُ باريس لا يُردُّ
فلا تحمل عليه،
وقلّ لباريس : أهلا
أنت مُغرّى بها،
فبادرْ
وخلّ الروح تَعْرِى
وفتة القلب تَرَوَى
وزحاماً من الرؤى يتجمعن

ويشعلنك صهداً
سحابةً من شواظٍ
صبواتٍ ينتابهن تشهيكَ
فيقطنن

في حناياك طلاً !

تلك باريسُ

أسرع الخطوِّ

لا تلتفتِ ثمَّ حوليِّك،

وعجّل،

ضاع الكثير الذي ضاعَ

وعمرُ الزمانِ

يبطئُ مهلاً!

عن قليلٍ، تنسى برودة ساقِيكَ

وتلتفتِ بالجمالِ الذي يُدْفئُ

تمضى مع النجومِ إلى الحُلْمِ

وتصطادُ ماسةً زينتُ جيدِ باريسِ

وتمضى

تتقرى يدالكَ جسراً على «السينِ»

وأيقونةً تسبحُ للربِّ،

جداراً معانداً

- تظنُّه سوف ينقضُّ -

وصوتاً يضح في ساحة «اللوفرِ»

فتلقى التاريخَ

وجهاً مُطللاً!

لستَ في عتمة الزقاقِ

ولا في زحمة الريح والروائح، والليلِ

وحيداً،

فثمَّ من يتشهُونَ،

ويسعونَ للوليمةِ والفتكِ

ويُغرونَ بالسجيناتِ في الضوءِ

وفوق الرصيفِ يعرضنَ للسايرينِ جوعى
بضاعةً لن تُردًّا ..

ثمَّ من يعبرونَ مثلى خِفافاً

يتشهُونَ أن يروا

ليقولوا : قد رأينا

سَطْحَ الوجوهِ التى ليست تُتيحُ الغوصَ فيها

ولا تُتيلُ سوى اللَّحْمِ

عيوناً محمَلقاتٍ، غليظاتٍ

ولوناً

مُصبِّغاً، مُربداً

لا تُسارعُ بالاتهامِ،

وحاذرٌ،

ليست النسوةُ التى عِفَّتْ

باريسَ ..

وليس الذى تأملت فى اللوحةِ

إلا سحابةً تعبرُ الآنَ
ووجهاً مخالساً سوف ينزاحُ
لتلقى سماءها وهي تتداحُ
مدى رائقِ السريرة والعطر،
وأفقاً مضمخاً،
مُستبداً!

ما الذى أنت حاملٌ فى وطائبك؟
أيها القادمُ الذى جاء مسكوناً
بوهمٍ يظلُّ يبحثُ عنهُ
وسطور قرأتها ذات يومٍ،
تظل تحلُمُ لو كان زمانٌ من أجلها
يُستعادُ،
لتراها بعينِ حاضرك الآنَ،
ولكن هيهات!

باريسك شيخوخة عمر
برودة في شرايينك
خطو يهتز حين يواتيك
فضاء تضيع فيه معانيك
طيورا مرفرفات بعيدا
وحنين لغامض
ليس يهدا
سائح أنت؟
لا،
ولا جئت مضيئا حكاية
للذي قيل،
ولا مشهدا
لما دار بالأمس،
فهذا الطريق مزدحم الشوق
ورواده

يزيدونَ عدًّا

إنهم سابقوكَ للمنهلِ العذبِ

وورادهُ الذينَ تمنَّوهُ طويلاً

فلمَّا عرفوهُ،

ذابوا التباعاً

ووجدًا

ثم عادوا بقبسةِ النارِ

فانداح حريقٌ في ظلمةِ الليلِ

وانجابَ زمانٌ

- طيرُ الخرافةِ يشدوهُ -

وشقَّتْ أسدافُ وهمٍ مقيمٍ

ثم عادوا..

تحركَ الماءُ في النهرِ

وأضحى المسارُ

جزراً

ومدًا!

قادمٌ أنتِ كى تردّدَ يوماً:

أنا باریسُ..

وهذى عجائبي وفنونی

فاتبعونى..

الفتونُ الذى يُضلكُ

يُرديكُ..

فحاذرًا!

إنّ باریسَ لن تُصنّفكَ اليومَ إليها

ومصرَ لن تستردّكُ!

ما الذى أنتِ حاملٌ فى وطابك؟

أيها القادمُ الذى سوف يرتاعُ

إذا قيل: ليس هذا هو الوقتُ

ولا هذه الحقیبةُ مسموحٌ

ببعض الذى هو فيها
فعدُّ به لبلادك
وتخلص مما حملت
وعاوداً !
تلك باريسُ
لم تزل ماءً عينيكَ
وفى القلبِ بغيةَ المتمنى
فتدققاً بها
وطاولَ صيالها بصيالك
واغتتم ساعةً على صفحةِ «السين»
وقلّ:
آن للنيلِ أن يُحرِّكَ ساقِيه
وأن يستفيق من دمعِ «إيزيس»
والأ يرتدُّ
فالليلُ حالِك!

سوف تبقى مدينةُ النورِ في القلبِ
وتبقى عيدانها
في رمالك!

أبى

كيف أغويتني؟
حين صدقتُ أنك باقٍ،
وأنَّ زمانك يمتدُّ فى الأفق المستحيل!
كنت تفلتُ منى..
ذراعاكَ لا تقويانِ على ضمِّ صدرى إليك
ولا أتبيِّنُ..
أنك تمعن فى البعد يوما فيوما
وبأخذك الجزرُ شيئا فشيئا

ويسحبُ للقاعِ ..
هذا البهاءَ المهيبَ الجليلُ
كيف صدقتُ فتنةَ عُمري،
وزهُوى بأنك لى
- كالنخيلِ الذى قد غرستَ -
امتدادُ إلى آخر الدهرِ
يسطعُ فوق الحقولِ
ويوغلُ مخترقاً فى السديمِ
ويوغلُ -
لا يعتريه الذُّبولُ!

الجليلُ المسجى، أمام العيونِ،
قليلاً... ويبحرُ فى الشفقِ الأرجوانِ،
ونبحرُ فى الدمعِ،
ها، لحظةً

وننوء بأحمال عبءٍ ثقيلٍ

تغيّبٌ لتشرق فينا

ويسطعُ وجهك عبر ملامحنا

ويواكب نهر تضاريسنا

حين نطوى مسافة عمرٍ

وتعلنُ عن خطفةٍ للفراقِ

وعن زمنٍ للغياب الطويلِ

ها أنا أرتجيكَ

أنادى عليك..

وأشتاقُ وجهك..

أصغى لعلك...

أقبعُ في حافة الليلِ

منتظراً..

كاليتيم الذليل!

* * *

دع رداءك لى

أتشممُ فيه زمانك،

أغمسُ وجهى به إذ يُلامسنى

وأشدُّ خيوطاً بك امتلأت

صاحبتك طويلاً..

وكانت تلاصق هذا الإهاب الصقيلُ

واقفٌ مثلُ سدٍّ منيعٍ غيابك -

لا أستطيعُ اختراقاً

ولا أستطيعُ التقدمَ

لا أستطيعُ الرجوعَ إليك

ولا أستطيعُ انفلاتاً من الحزنِ

لا أستطيعُ إليك الدخولَ!

كان نهداً من الضوء ينسابُ

فى حلقةِ الليلِ،

والظلمة الداھمة ..
كان يأخذنا من ديبب الطفولة فينا
إلى حيث نُقلع فى لجة الحرفِ
نركبُ متنَّ السؤالِ
وتحملنا موجة عارمة!
لم يكن يتوقف يوماً ليسأل:
أىَّ الحظوظ أصبَّتْ؟
وأىَّ البلاد سكنتُ؟
فقد كان يكفيه أنا له الحظُّ..
نحن جنَّى الأرض
والأوسمة!
كان يحملنا ملءَ عينيه
وهو يُفلق جفنيهِ
يخشى علينا اندياح الفضاء
ويخشى علينا المروق من الوقت

يخشى علينا التفرّق

واللحظة القادمة ١

هو ذاك الذى كان يجمعُ زيتونهُ

ويُقلمُ نخلتهُ

ويضئُ بساتينهُ

ويُجمّعُ فى قبضة اليدِ

ما أبقت العُسرَةَ الداھمة!

كم نودُّ لو أنّ الجبين المھيبَ

اطمأنَّ..

ولو أنّ وقع الترابِ على قدميهِ

استجال غناءً

ولو أنّ هذى المسافة بين العصافيرِ والحلمِ

كانت رُخاءً

ولو أنّ نهر العزاءِ الذى قدّمته السماءُ

تفجّرَ فى الأرضِ

فاخضوضل العمرُ،
وامّحت اللوحةُ القاتمة!

ياأبى
ياأبى
ياصديق السنين الطوالِ التي
شكّلتنى على صورةٍ منك،
صرّتَ قريناً لنفسى
وصوتاً لصوتى
ومتكأً حين تقتلع الحادّثاتُ
فضئاً به انسكبَ الضوءُ والعطرُ،
والسيرةُ الفاغمةُ
اليتمُّ يلوذ ببابك
جاء يدقُّ على جذع صبّارةٍ
نبتتْ حولهُ

واستحالت مدى من عروقِ اخضراركِ

حين انسكبت علينا

زماناً، وحُلماً، وطيفاً تباعدَ

ياليتهم يدركونَ

- الذين الأقيهمو شبحاً هائماً

غارقاً في الدهولِ -

أننى أتعزى بأنك فى

وأنى أديرُ الشريطَ الطويلَ

أطيرُ لمثواك بين الحقولِ

وأسكنُ تحت السكونِ الظليلِ

وأقنعُ من زورتى بالقليلِ!

لوركا

المغنى العربى بالإسبانية

لوركا ..

حين وُلِدْتَ .. أطلّ الموت معك

لم تبعدْ خطواتك يوماً عن حدّ الموت

كنت تشاغب بالكلمات

وهو يُخايل من خلف التلّة

يومض ملء عيون الجبناء

لكأنّك لم تتوقف يوماً

حتى تسأل: ما معنى الموت!

إلا فى مصرع إجنازيو^(١)

فى الخامسة مساءً

فى قلب الحلبّة

تحت قرون الثور الهائج

هذا موت تعرف معناه، وتبكيه

نُبلا وكرامة

ما دار بخلدك

أن رصاصا يمرقُ من جلاباب الليل

يأتيك من الخلف

يمرقُ من ضفة جبل صوب الأخرى

فى غرناطة

لا تدرى من صوب غدّارته

من أين أتتك الطلقة

فانقبضت عيناك على جمرات اليتم

(١) إجنازيو سانثيث مصارع الثيران الإسبانى المشهور، رثاه لوركا بقصيدة من روائعه.

وانحضرت فى سيماء الوجه، لوجه الموت، علامة
أنت المتقمصُ روح الأسطوريين
من فرسان الحلبة..

لكن..

ها هو ذا موت يأتيك
لا يمنح وقتاً

لمبارزةٍ منك

مصاولةٍ

أو بعض نزال

يمرقُ من فُوْهة الغدر

ومن أقبية الليل الأسود

فسقطت حزيناً

حزنَ شهيدٍ

يدفنُ هامته فى قلب الصحراء

بعثاً عن قطرةٍ ماءً!

لوركا

حين اشتعل الحرف العريُّ

يُغنى الوجع الأندلسيُّ

ويسرى في عيدان قصائدك المفعمةِ

بكاءً وأنينا

شجنًا، وحنينا

توقاً للمجهول الغاربِ

والمترسّب في الوجدان

كان نشيجك يُحيى وجهاً غابَ

وأفقا تأكله النيران

وغناءً حُرّاً يتردّدُ

في الجبل الأجردِ

- حيث وُلدتَ وحيثُ قُلتَ -

وفي الوديان

يتصاعد في العزف المجنونِ

ويسرى فى شدو الرعيان
هل كنت تسافرُ فى ذاكرة الزمن العربى
بحثًا عن لؤلؤة الفردوسِ
وعن عينينٍ مكحلتينِ
وعُرسٍ كان دمشقيًا
وهو يعومُ على مُرتجِّ الموجِ
وثبجِ الأوجِ
يسوقُ إلى بستان الشامِ جدائلِ غرناطة
ويُعتقُ صهد الأندلسيين
سُلافةً عشقٍ وصباية
يترشفها فتیانُ الليلِ
وفرسانُ الصبوة
والندمان
لوركا ..
خذ ناصية الحلم

وَمُتَّسِعِ الأفق الأندلسيَّ

وحلَّق

اضربَ بجناحيك،

فأنت شرارةُ هذا الفجرِ القادمِ

أنت نبوءةُ هذا العالمِ

تخرجُ من بين ركامِ الفوضى

وتغنى أغنية الإنسان!

لوركا ..

هذا سيفُ الوقتِ

وهذي أغنيةُ المقتِ

طغاةُ العالمِ مازالوا

والسّاحة مملأى بالأحزان!

«لوركا ..

برق يسطع في أوردة السّحبِ الحَبلي

وحصان برّى يركضُ فى العشب الأندلسى
ولحن غجرى يتدافعُ فى حنجرة الجبل الأجردِ
فى غرناطة»

لوركا

هل جئت من الزمن العربىّ
وعانيت الكون الشائئ
حين انكسرت فيه القاماتُ
انخلعت فيه الصّبواتُ
فتلبّست الإسبانية وجهاً وقناعاً
لغة الفلامنكو إيقاعاً
صدراً عُرياناً
وروائح بحرٍ مشتعلة
نقبت طويلاً فى أبهاء الزمن العابر
لم يُسْعَفك بغير شرعٍ يغربُ فى اليمّ

وبكاء يعنى الفردوس المفقود
ونوارس تُبحر شاردة حاسرة الرأسِ
فأجفل شعركَ
قَفًّا
وقلتَ : أُجرِّدُ سيفي
أخرجُ لا أبغى مُلكاً
وأخوضُ فى قومٍ هلكى
أبحث عن موطنٍ قدمٍ فى غرناطة
تسكنهُ روى
أحملُ تاريخاً يُثقلنى
غرناطة تُبحرُ فى طوفانِ الدمعِ
وتبكى العائد من رحلة فوضى وشتات
عُرِياناً
يضرِب فى تيه الكلمات!

لوركا

هل تدري..

حين عرفتك

كان «وحيد النقاش» يُقربك إلينا

- نحن المفتونين بزهو العمرِ

ولغو القول،

ووهم القدرة والتغيير -

كان «وحيد» جميلاً يعشق كلَّ جميل

فإذا اكتشف جمالا

أصبح يحمله ويفنيه

ويدور به

يسقى كلَّ الأحبابِ وكلَّ الأصحاب

كان يُحدثنا عن «يرما»

عن روح عاقرةٍ

وزمانٍ بالخصبِ شحيح

كان يحدثنا عن «عرس الدم»

عن شعرٍ فيكَّ

وقامة عشقٍ وبطولة

ويحاول صيدك

وهو يصوغ بهاءك فى جلوات الحرف العربى

حتى يقرأك المفتونون المأخوذون

فإذا أترعنا

وانحسر الكيلُ وفاض

ألقى فينا بعض بشارته ونبوءته

أن ننتظر القادم من مكنون السحر،

ومملكة الشعر

كان «وحيد النقاش»

هذا الطيرُ المسكونُ بوهج السحر،

وأجمل ما فى لغة الطير،

وفرح الكون، وموسيقى الأشياء،

ووجع الكلمات
يسكبُ في أعيننا خُضرة عينيه
ينبت في صحراء قساوتنا
أشجاراً وارفةً
وظلالاً من حُلْمٍ
ومواكب ألوانٍ ونغمٍ
ويُعيدُ نوافذَ ألق الروح إلى الأحياء
الزمن عقيم
والطيرُ المسكون بوهج السحر،
الطيرُ الأجلُّ فينا، طار .
من زمن طار
خلفنا نبحتُ عن عينيه الخضراوينِ
ونعري في صفرة هذى الصحراء
وجذب الليل المتراكم فينا ليلَ نهاراً

لوركا

الآنَ وقد عاينتِ..

هل ينحسرُ بعيداً ظلكُ

عن شبهة هذا الوجع العريِّ

وهذا العارِ المنُشبِ فينا أنيابه

الموغلِ في قهوتنا كلَّ صباح

القابعِ في أعيننا كلَّ مساء

والسّارى في ألواحِ العشقِ

وفى ههددة الأطفال

وأناثِ العجرِ الجوّالين

العربِ المنفيين

وراءَ الزمنِ القادمِ كالإعصار!

لوركا

حاذر أن تلقى بعد الموت الدامى موتاً آخر

هو موتُ الزمنِ العريِّ!

نخبُ للعائلة

هل لى أن أقرحَ الليلةَ

نخبًا تشريهُ العائلةُ

وأخر ضوءٍ فى شمعتها يخبو،

ساعة يصفو الحفل،

وتألقُ الكعكةُ،

فى عينيّ من يتلمّظُ

وهو يدور على استحياء!

حفلٌ لجميعِ العائلةِ

اكتمل الشملُ
تلاقت أطراف الحىّ الشرقى
وأطراف الحىّ الغربىّ
وصارت دائرةً واحدةً
ونجوم سماء
والأعداءُ الإخوةُ
يستبقون لهذا الحفلِ
خناجرهم تحت عمائمهم
وعمائمهم فوق رؤوس يملؤها الغدرُ
جيوبهم فوهات بنادق محشوة
يسطع منها وجه شائه
وضراوة أحقادٍ
طالت..
لا تتخلف عن مواعدها
فى كلّ لقاء

انطفأ الضوءُ
فأهلاً بالظلمة قادمةً
والأنياب المسنونة تحتشد لساعة فتكٍ
ونفاذ الطعنة قبل حلول الفجر الكاذب
حتى لا ينكشف السمُّ أو السيِّمَاءُ
الحفل الصاخب يُغرى
بمزيدٍ من قبلاتِ الأهلِ
مزيدٍ من طعناتِ النَّصلِ
ويُغوى العابر أن يتلكأ وهو يُطلُّ
فليس كهذا المشهد متعة عينٍ
أو ذاكرةٍ
أو عبرةٍ
للمتأمل في أحوال العائلة المنفرطة
عقدًا كان،
وزمنًا كان،

وقطرة ضوءٍ فى الظلماء
العائلة، المتأكلة، المتصارعة
على شبرٍ من أرضٍ
أو برميلٍ من نفضٍ
أو قبضة حسكٍ فى صحراء
والمنشغلة عن زلزال فى قلب البيت
جحيمٍ يبتلعُ الأهل،
وغُولٍ يُبدل شكل الأرض
ويكسو بالعبرية وجه الكون
ويطمسُ ذاكرة الأسماء!
هل يُصلح هذا النخبُ العابرُ ما أفسده الدهر
وما دشّنه الغدرُ
وأصبح ثأراً يتنزى
وبحار دماء؟
ولماذا حين يثور الأعداءُ الإخوةُ

يحتربون،
ويفترسون
البأسُ الكامن فيهم لا يتجلى
إلا حين يكون عليهم
لكنّ قلوبهمو شتى
إن نُدبوا يوماً للجُلَى!
والعقل خواء!
هل يُصلح هذا النخبُ العابرُ
لغةَ الغافلِ والسامرِ
فى ملهاةِ العصرِ
وفى قارعةِ الدهرِ
وفى جبروتِ القوةِ والخيلاء!
العُهرُ الكامن يكشف عن سوءته
يفضح بعض سريرته
ما عاد ستارٌ يتدلى

أو ثمّ غطاء
والأعداءُ الإخوةُ..
ترتحل حقائقهم
وتسافر من عاصمة حتى عاصمة أخرى
تستأذن أو تستعطفُ
ترجو أو تتعهد
تطلبُ أو تستغفرُ
لا تحمل، مهما حملت
إلا أشلاءً
ونوايا عاجزةً
وقلوباً صُمّاً عمياء!
هذا زمن الحفل الباذخِ
يُعمى بالذهب الرنانِ
ويغرى الحمقى بالدولارِ
ويُغوى الموتى بالدينارِ

ويقتلُ باثنيْن:

الرهبنة،

والإغواءَ

زمنٌ لا يصلحُ إلا للسوقةِ

أو أشباهِ رجالٍ

يفترشون الحلبَةَ -

دقَّ الطبلُ،

فطاروا مذعورين من الأصدقاء

أو فرسانٍ

يقتحمون الليل لساعةِ حظٍ

فإذا طلع الصبح عليهم

صاروا ملءَ الجوّ هباءً

منخوبين من الإعياءِ!

مَنْ لسياجِ الأمةِ

يكشفُ وجهَ الغُمةِ -

يحمل عنها العبء
يُبدلُ ترتيبُ الأشياء؟
من لسياجِ الأمةِ
يقراً فاتحة الأقدار
ويمضى، نحو مصير دام،
لا يتبدلُ،
لا يتخلفُ
يُمعن، يُمعنُ فى الغلواء؟
الحق الأعزلُ .. حقُّ ضاعَ
يليق بأحلامِ الجبناء!
واليوم الراهن موقوتٌ
لصراع بقاءٍ وفناء
والزمن الآتى زمن رهانٍ
فليخترَ كلُّ ما شاء!

هل لى أن أقرحَ الليلةَ
نخباً للعائلةِ
ونخباً لأشقاءِ كانوا
طلعَ الفجرُ عليهم
فانتبهوا..
لكنَّ أعداء!

نبوءة العراف الأعمى

أرى شررا قادمًا

يتطاير أعمدة من شواظٍ

ويسقط فاكهةً من جحيمٍ

أرى جائعين

تهول أعينهم خلف كسرة خبزٍ

وتصطك أحشاؤهم

في انتظار الهباتِ

وتغشى العيون سحابةً يأسٍ

ويظلم وجه الزمان العقيم
رجالاً غلاظاً ..
يسوطون جيش عُرَاةٍ
وليلا عتَى الملامحِ
ينشبُ أظفاره في الشعاع الأخيرِ
فيلفظ أنفاسه
وهو يُغلقِ عينين مُجفلتينِ
على مقدم الرعبِ والفاجعةِ
أرى شرراً طالعاً
يتصاعد أعمدة من دخانٍ
سحابة ليلٍ دميمٍ
هو الهولُ ينتظرُ الذاهلين
ويفترسُ الصاغرِين
ويذبح فجراً البراءةِ
في أعين الشاردينِ

ويفتح باب العراءِ

وأقبية الموتِ

للهاربين!

أرى شجرًا حائلًا

ورقا ذابلا يتطايرُ

مذبحةٌ للغصون الهشيمِ

وعاصفة لاقتلاع الجذورِ

أرى سحنةً للخريف المباحثِ

تنثر صُفرتها في الوجوهِ

وتضرمُ نيرانها في الظلالِ

وتعلنُ عن بدءِ ذاكرةٍ للغبارِ

وقارعة لالتهام السكينةِ

والفوز بالمقعد الحجريِّ

لقد هُزم السدُّرُ والسنديانُ

إذا اشتعل الماء في الساقِ

جفت ينابيع هذا الفراتِ
ورثق يومُ الشتاتِ
وضلتُ خطى الكائناتِ
وجاء زمان بحجم المواتِ
أرى شجرًا شاخصًا لا يريمُ
فضاءً تأسنُ
والبومُ منتظرٌ
والشقاءُ المقيمُ

أرى منشداً يتقلُّ بين الجموعِ
ويبحر بين الدموعِ
يُحذّر من هجمةٍ للوباءِ
ومن ساعةٍ لانهمارِ الفناءِ
ومن صمم شاخص فى الخنوعِ
ويضبط أوتارَ أحزانهِ
على شجنِ نازفٍ فى الدماءِ

تسمّمت الرثتانِ
وحشرجةُ الصوتِ
غرغرةُ الموتِ
شهقةُ خيط الحياةِ الأخيرِ
فمن يوقفُ الآنَ سيَلُ الدماءِ
سنايكِ جيشِ الشقاءِ
ووطأةُ هذا البلاءِ العظيمِ
ويُرجع صوت الغناء
ويُبدل وجه الزمان الذليل
ليزهر في القلب نورُ الربيع
وتعتصم الأرضُ بالكبرياء!

* * *

أرى عجباً
وفجاءة يوم قريب
أرى سوقةً في لباس الملوكِ

ملوكاً عروشهم من هواء
وأيامهم حُزمة من دماء
وتاريخهم بُقعةٌ من هوان
وأحلامهم من لحوم الجوارى
وركضهمو لاقتناص المزيد!
أرى عجباً
ونبوءة يوم قريب
أرى الأفق يمطر مُهلاً
أرى الأرض تقذف عباراً وذلاً
أرى العين تذرِف شوكاً ورملاً
أرى هاتفين بروعة هذا المصير البليد
ومنطلقين لمائدة من لحوم العبيد
وممثلين لإمرة هذا الإله الجديد
فويل لمن لا يرونَ
وويلٌ لمن يُبصرون!

الشهيد*

مدّ يداً، وسلّما
فارتاع طيرٌ،
طار من ضلوعه،
وحوّما
كان يريد أن يقول، إنما
لم يتسع وقتٌ،
تبّد الذي يوّدُّ لو يقوله،

«إلى شهداء الجنوب اللبناني،»

فغمَّما
وانهار مُسرِعاً،
كما يثورُ عاصفُ الرياحِ،
عاتياً مدمداً
لم يلتفت وراءهُ،
ولم يُطلِّ
كان يخاف صوت طفليتهِ
لو تكلمّا
وشدّتاهُ،
عندما تعلّقت بثوبه الأكفُّ،
تسألان عن رحيله،
لما
عارٌّ عليه أن يردَّ بسمتيهما
بوجهه الذي تجهما
وهو الذي يذوبُ

كلّما رستَ عيناهُ،

فى مدارج الطفولة المسكوبة الصفاءِ

فى الملامحِ المنممة

واسترسلت أحلامه الطليقة المزقزقة :

«عصفورتان،

تكبران،

تكبرانِ

فى وداعة السنين

تصير كلّ منهما

قُمْرِيَّةً مطوّقةً»

متى، متى

ورفرف الحنين

أبناؤنا قيدٌ إذا الشوق همى

وصاح هاتفِ الجهادِ، داعياً

فأقدما

لم يلتفت وراءه،
ولم يُطلِّ
الآن يرتجُّ الحمى
لينطلقَ
فى صدره قذيفةٌ،
تحيلُ صدره جهنماً
وموعدٌ يشدهُ
وقسمٌ قد أقسما
وربوة خضراءُ،
يسكن الخلود عندها،
تُشير للذى يريد أن يذوق كرمها
ذقْ مرّةً أو مرّتين
من قبل أن تضيع فى الصدى
وتتدما
لكنه تقدّما

وأغمض العينين حين صوّب اليدينِ
ولم يمتّ مستسلماً!

ياخاطرا مطوّفاً
وطائرا مُحوّماً
يانازلا ملء العيونِ
فى سبيكة الحمى
ليس سواك الآن،
من يضئُ ليلنا
بيارقا وأوسمة
ومن يظلُّ فى لهاتنا
نشيدنا الشجى، كلما ترنما
الآن لا مناصَ
أيها المسافرُ الذى يصيدُ أنجماً
والوالهُ الذى يطاردُ الحلمَ البعيدَ،

مُغرماً

والفارسُ الذي بكبريائه احتَمَى

معانقاً مصيرهُ المحتماً

كيف أتاكَ لِحُ طفلتيكَ

حين أطبق الليل البهيمُ

والحصارُ،

والدوارُ،

صاعقاً، ومعتماً

كيف استحال وجه طفلتيكَ

ومضئاً

وغام في البعيد،

ثم صار خيطاً مُبهما

لم تلتفت

ولم تُرَعِّ

ولا انحنيتَ للشَّجَى

يسيلُ في الضلوع، مثلما
صَبَّارَةٌ تفوصُ في الرمالِ
تبسطُ اليدينِ
علَّ عابراً أن يرحمَ الغضَى
وأن يُسلِّما
لم تتذكر غير أن طيفاً عابراً
تبسما
وأن وجهاً في الجنوبِ
لوّحت يداهُ
قبل أن يفوص في المغيب
غارقا،
ولوحت يداهُ مرّةً أخرى
وحاولت ساقاهُ أن تجرّجرا الخطى
وأن تزاكما
من قبل أن يساقطَ الليلُ البهيمُ

عاتياً، ومُحكماً
من قبل أن يندفع الرصاصُ
والموتُ الذي رقيتَ فيه
سُلماً، وسُلماً
معراجُك الجمالُ والبهاءُ
واكتمالُ هالة البرقِ المثيرِ
وانعقاد كوكب ينور السماء والمدى
فى وجه طفلتيكَ قد تجسّما
فقل لنا
ياأيها الوجهُ الجميلُ
أيها العمرُ الذى تقصّفت عيدانهُ
وصوّحت أوراقه
وأصبحت ثمارهُ
جماماً، وأعظماً
كيف ارتضيّتنا
- نحن القعود، القابعين ها هنا

أبعدَ ما تكون عن حفائر المنونِ
واحتدام لحظة القرارِ
نحتمى بزهونا الرخيص بالحياة
كالدّمى -

كيف ارتضيتنا عنك بديلاً
ثمّ،

وافتديتنا؟

وكيف أصبح الموتُ الكريهُ
شهوةً،

تذوبُ في أتونها مُتيميا؟

وحينما أيقنتُ أنْ ليس سواك
ليس ثمَّ عودةً،

وإن تعدّ،

فلن تعود سالماً

تداح في عينيك ومضةً، فومضةً

بكاءُ طفلتيكِ في العراءِ
شيئاً فشيئاً تسكنُ الأنفاسُ
في يديكِ حفنةُ الترابِ
جذوةُ الجمرِ
استحالَ وقدها كنزاً من الرؤى
ومنجماً!

* * *

مدّ يداً وسلماً
فانبجستُ عينُ السّما
تبكيه مسكاً ودما
وخاطراً مُطوّفاً
وطائراً محوّماً
في عطره
تفحماً!

الْفَنَارُ*

ما بين ومضةٍ تضيءُ، وانطفاءةٍ
عبرتَ شاطئَ الزمانِ
وانتهى بك السرى
إلى وجوهٍ لم تعدْ وجوهك القديمة
الراكبينَ البحرَ والمغامرينَ فى العُباب
بحثاً عن اللؤلؤةِ اليتيمة
الآن حين يُؤذن الصّحاب بالرحيل

* إلى الإسكندرية: عروس الماء،

هل صرّت تخشى لحظةً مُباغته
يسكنك التوحّد الملول
وتعتريك رعشة المشاهد الحميمة
وأنت صامدٌ،
فى موقف الفراقِ،
والهزيمة!

ما بين ومضة تضىءُ، وانطفاءة
سكنت فى خواطر النوارس المهاجرة
وفى حكايا موجةٍ مسافرة
ترتجُ فيك صبوةُ البحار
وانطلاقةُ المغامرة
تُراك حينما اعتزلتِ..
آثرت أن تظلّ مقلتاك فى البعيد
تأهتتين فى المدى

تُحدِّقان فى فضائه سُدَى
مُعْتَصِراً برودة الشتاء
وارتعاشة الخريف
مناديا.. ولا صدَى
صوتٌ يُهَيِّلُ الأزمنة
مُنْتزِعاً من الرِّكَّام
لحظةً انتصبتَ شامخاً وبازغا
تضئُ عيناك الوجودَ
هاتفاً بالأفق المغيم البعيد:
«اسكندرية.. الشعاع والشرعُ والمدى
اسكندرية.. الفضاءُ والمدارُ والنَّدا
اسكندرية.. الحياةُ والردى»
وأنت وحدك الجليل والمهيبُ
ما انحنيتَ مرةً ولا انخلعتَ
لكنما بقيتَ شامخاً،

وسيدا

ياسيدي الفنار.. نمّ

فلم تعد مقبولةً شهادتك

لا البحرُ بحرُنَا

ولا الزمان - حينما أتى - زمانُنَا

ومالنا في لحظة المواجهة

زادٌ ولا مددٌ

ولا الذي نبيكه أو نرومه

يُعنى به التتار في البلد

سيانٍ صمتنا أو احتجاجنا

إيغالنا في الوخز،

أو موأتنا

فدرّ مع الفراغ دورةً أو دورتين

ما بين ومضةٍ تضيءُ، وانطفاءة

وقل لهم:

ياصحبتي..

رأيت هَوَّلاً قادمًا

رأيت رُعبًا جاثما

رأيت عمرًا نادما

ناديتكم..

فلم يُجبَ أحدا

إلياس أبو شبكة^(١)

فيم احتجابك؟ لازهدٌ ولا ورع!
وأنت سرُّ بقلب الجمر يندلعُ
الكأس مترعة، والصحب ماسكروا
فليس في الكأس إلا الصابُ والوجعُ
كيف الخلاصُ؟ وسجن الوقت منغلق
وأنت فيه نبيُّ ما له شيعُ

(١) في الاحتفال بخمسين عاما على رحيله، في بلدته «زوق مكاييل» في لبنان.

توقف الوحي لم يُكمل رسالته
وأنت تُزمعُ معراجاً وترتفعُ
كأنّ في صمّتك المسنون حدّ لظي
يفلى، ومعجزةً في الأفق تلتمعُ
وأنت تبحرُ في دُنيا مُلبّدةٍ
الموت عمّدها والشك والجزعُ
عوقبتَ بالصمت والنسيان، فانهزما
خمسون مرّت، وهذا الصمت ينقشع!

* * *

فيم احتجابك؟ هذا عطرك ازدحمت
به الدروبُ، وهذا الشملُ مجتمعُ
ياناصباً لعناقيد الرؤى شرّكاً
وأنت تُمعن في سحرٍ وتخترعُ
يداك ترتجلانِ اللحن، فانطلقت
قيثارة لك، تُشجينا وتبتدعُ

ليلاك ما برحت في «الذوق» شاخصة

ترنو، لعلك آتٍ، أو هو الولعُ
تجسّم الوهم أطيافاً وأخيلةً

ونحن بالوهم كم نحيا ونبخدعُ
لعلّ لمح محياك الذي عرفتُ

يُطلُّ، لو كان للأيام مُرتجعُ
تستنطقُ الحجر المعروقَ بعض لظى

وتستثيرُ فضاءً كله لمعُ
وتستديرُ ومن كفيك شاردة

تندى، وقلب من الأوجاع يُنتزعُ
عجلٌ وبادرٌ، فكم بادرتَ مُفترعاً

هذا الوجود الذي بالشعر يُفترعُ!

مَنْ سَلَسَ الحرفَ إيقاعاً ولوّنه

نقراً على الروح تهوَاهُ وتندفعُ

هذى بلاغتهم قد عفت شيرعتها
فليس مثلك من يمضى ويتبع
فى أمةٍ لم تزل تجترُّ حكمتها
شاخت فكلَّ جديدٍ عندها بدع
وإنما أنت نار الله موقدة
وذاك فردوسك العالى وما يسعُ
أطلق أفاعيه، إنا أمة بَشِمت
فهل سيوقظها من عجزها الهلعُ؟
صدمتهم فأفاقوا، ثم عاودهم
من بعد صمتك ما يُغرى وما يزعُ
أبقوك فردًا، غريبًا، نائيًا، بددًا
كصوت عيسى، خفيضًا، ليس يُستمعُ
لم يعرفوك، ولو ذاقوا ظلاك لما
باتوا على الوخم المأفون أو هجعوا
ولا رأوا لوْحك المسطور، تحمله
فى راحتيك، وقلباً فيك ينخلعُ

هذى الغوايات كانت من هوىً وصباً
وأنت فى الجمر لا تبقى ولا تدعُ
هذا الخلود طريق أنت مُبدعه
من الفتون، ووحى ليس ينقطعُ
عبادةً لجمالٍ أنت باعتهُ
فى الحرف يورقُ، والأحجار تنخلعُ
فاهتفَ به عينٍ ماءٍ شئتُ أو جبلاً
فأنت فى الحاليتين الرىُّ والشبُعُ
واجمع مرديك من أقصى البلاد، فقد
أفضواً لبابك مسحورين، واندفعوا
للعبقريين سمّتُ أنت تعرفه
وللسماء جبين فيك ينطبعُ
ياقاب قوسين من سلوى ومرحمةٍ
يا مبحراً فى المدى والبحر متسعُ
ألقي بك المدُّ يوماً فوق شاطئنا
فما رأى مثلك العشاق أو سمعوا

يتيمة من غوالى الدرّ ساطعة
يُزهى بها صائد فى اليم مُبتدع
غواصَ لبنان، والأمواج عاتية،
حاذر فإن العذارى فى الهوى تقعُ!

هذا فضاؤك خلوّ ما به أحدٌ
هذا غناؤك، لكن.. من سيستمعُ؟
إلا نثارا بديداً من زمازمهم
يزقوبها زامر فى الحىّ مُتضعُ
كيف الغناء؟ ووطءُ الرعب يسحقنا
وكلنا بالذى نلقاهُ مقتنعُ
كيف الغناء ووجه النذل يلبسنا
وجه كئيب، خفيض الرأسِ، ممتقعُ
فى موقفٍ ليس إلا فارسٌ ومدى
وليس إلا جبانٌ دأبة الفزعُ

الطامعون بنا لم يياسوا أبداً
وكيف يياس من دستورهُ الطمُعُ
ودّوا لو اقتلعونا من ضمائرنا
وأنا تحتهم نُطوى ونُبِتلعُ
هبّهم نفوّنا، وغاصوا فى حناجرنا
فكيف لبنان من لبنان يفتلعُ؟

شبرا فشبرا تضيق الأرض، لا تسعُ
ضدّين، بينها التاريخ يصطرعُ
ونحن نُمسكُ وجه الأرض فى لهفٍ
والأرض - من نخوةٍ - تعصى وتمتّعُ
قالوا: سلامٌ، فقلنا: علّ، ثم أتى
أنى يكون سلامٌ وجهه بشعُ
وهل طلبنا مزيداً من مكائدهم؟
إنّا نغصّ ولما تنته الجُرْعُ

لو أدركوا يوم «قانا» ماجريمتهم
وأى هول أتوا، أو باطل وضعوا
إذن لراحوا، ووجه الأرض يلفظهم
والله والناس والتاريخُ والبِيعُ
ثاراتنا لم تزلْ تُذكى مواجعنا
والجرح يوغل في صمتٍ ويتسعُ
وأنت بالشعر تعلو كلَّ سارية
وسرُّ حرك مرصودٌ وممتعُ
غَوَاصُ لُبْنَانَ - والأيامُ تجمعنا -
هذا الخليج^(١)، وهذى الشمس ترتفعُ
الشعر ما بيننا حُلْمٌ نلوذ به
وليس كالشعر حبل ليس ينقطعُ
من مصر صوتى وإنشادى وقافيتى
ومن سما «الذوق» وجه الله يطلُّعُ
يامانحاً وجه لبنانٍ جسارته
لبنان يبقى ويحكى، والورى تبُعُ!

(١) المنطقة المواجهة لبلدة إلياس أبو شبكة علي البحر واسمها: الخليج.

زحلة^(١)

كيف ألقاكِ مثلَ لُقيائِ حُلُمَا؟

وطريقى إلى الجمال مُدمى!

أنا أسعى إليك، والحزن ميراثى

وطعم الأشياء قد صار سُمًّا

ملء كفىَّ وردة من دم الشعر

وخطوى يجتاز لغما فلغما

(١) في الاحتفال بمهرجان زحلة السنوي.

عاقداً منك حول صدري وشاحا
أتزيّا به وأختال نظماً
وأباهى مواطن الحسن، مَنْ غيركِ
يوماً بحسنه يتسمى؟
زحلة السحر والجمال عروس الأرز
يا نجمةً تُوائم نجماً
الغوايات ملء بُرديكِ، والأنخاب
تتري، وفورة الوجد حُمى
إنها زهوة الجمال، فهذا الحسن
طاغ والقلب ضايق ولما
فامنحيني هنيهةً أرتشف قطرة
ضوء، فقطرةً منك نعى
وعطاياكِ كلماً أبدع القوم
تفوق الخيال حلماً فحلماً
أنت أغويتني، فأوشكت أصبو
وأنا يوسفٌ غوى ثم همماً

جئتُ أستعجلُ اللقاء، وأهوى
فوق هذى الشعاب لثما وضماً

كان شوقى هنا، وكانت رؤاهُ
تسجُ الشعر لايدانى، ومهما
صائد الفن والجمال، إذا ما
راش سهما، تريش عيناكِ سهما
عانقت ريشة الخلود بكفّيه
جمالاً يذوب شدواً ورسماً
يوم كان البيانُ إنجيلٍ عصرٍ
يتصبى العقول حُرّفاً ونغماً
والسماءُ السماءُ قبلةً تاريخٍ
يصوغ الحياةَ وعياً وعزماً
وبنو الأرز شامخون، إلهيون
أمجادهم إلى الشمس تنمى

كان «شوقى» هنا، وفى جارة الوادى
شجون تفرى الجوانح، كَلَمَى
أنا فى ظله مشيت، وقد دار
زمان الصفاء وانداح وهما
يازمان الوصال إنى أناديك
ولا أغتلى اتهاما ولوما
فى فمى لذعة المرارات والعبء
ثقیلاً قد صار سجناً وهماً
زحلة الشعر والجمال عروس ال
أرز، لازلت كبرياء أشمما
أنت صوت الجمال يعلو على المو
ت، ويعطى الحياة لونا وطعما!

هنيهة، أنعم بها يا زمان
واستلّ أحزانى
هذى الفراديس، وهذى الجنان

ميراثُ ألحانِ
وربوة شامخة فى المكان
صهباءُ ندمانِ
يا من تُساقينى، وملءُ الدنان
أغرودة الحانِ
إنا سكرنا من فتون الحسان
وسحر لُبنانِ !

* * *

المدى باذخُ
ووجه من الشرق حفىُ
واللون يفترعُ اللونَ
فضاءُ مُعلق بالمسافاتِ
نثارُ من النجوم البديداتِ
توشحنُ
شفيفاً من الغلائلِ تتدى

لوحةٌ يرتَمَى بأهدابها الضوءُ
ويُلْقَى ظلاله في الفراديسِ
انهمار السنّا

وجلوة أقمار

وصوتا من عالم الأمس ينداحُ

ورؤيا تعيدُ بعث الرواية

أنتِ من عالم بعيدٍ ترفّينَ

بكاء السماء يمتحنُ الوقت

وومض في العين يشبه برقًا

وهوانا

رهن بيوم من العمر جديدٍ

وشاطيء يبحر القلب إليه

في نقطة اللانهاية!

في بلادى لاموعدٌ للصّباباتِ

ولاوقت لابتداء الحكاية

إنه الموت كامنٌ
طلقة الغدر تُدوى
طفولة الحلم تنهارُ
وراعى الجنوب يفقد نايه!
لم تزل هجمة التتار تُدوى
عبأوا بالرصاص آنية الوردِ
يصيدون طائر الليل والفجرِ
يدوسون برعم النور والطلُّ
يسدّون جلوة الشمس والريح
يقيمون حائط الغلُّ فى القلب
يظنون أنه اليوم قد جاءَ
وهذا ..

طريقهم للنهاية!
زحلة السحر والجمال أعيدىنى لنفسى
وطامنى من خطايا

أنت صوت الحياة يعلو على الموتِ
ويُدنى رغائب العمر للعمرِ
ففى كلُّ لفتةٍ منك آيةٌ
أغرقينى فى روعة الحلمِ
هل أجمل من نشوة المحبينِ
غاية؟

رايتى رايةُ الجمالِ
غنائى شدو العصافير والبوحِ
شعابى تُفضى إلى العطر واللونِ
وتُدنى مرافئى ومدايا
الجمال الفريد عبءٌ
فهل تنزلُ فى مائه المقدسِ
حاذرٌ

أو انطلق فى الغواية!

أوراق لندنية

على باب لندن كانت بانتظارى قصيدة

قصيدة حارة فارعة

علقتى فى ذراعها

وحملتنى

تحت سماء رمادية

ينثالُ منها مطر دافىء

كالندى

قلت لنفسى: يا نفسى

لن تكونى وحيدة

ولا غريبةً

ولا ضائعة

ها أنت معلقة فى ذراع أمينة

قادرةٍ على اختراق ضباب لندن

ومنح رماديتها ومضة حانية

قادرة على الحديث إلى الأشجار بلغتها

وتركيز حواراتها فى قارورة عطر

الصباح اللندنى

جديد، ومختلف

يكفى أن تشاغلنى - عبر النافذة الغربية -

شجيرات الياسمين المغتسلّة بالمطر

وتشرئبٌ أغصانها وتمتد

كأنها تحاول الولوج إلى الركن الحميم

من الغرفة
وتسارع يدي إلى التحية بأحسن منها
والإمساك بذؤابة غصن،
ذائبة فى طلع زهرة
ليتنى أستطيع الاقتراب أكثر
وعناق الأغصان البعيدة الممتدة
فى زهو وكبرياء!
الصباح اللندنى..
جديد، ومختلف
أصواته المتداخلة
شديدة الاتساق والانسجام
على اختلاف عناصرها
مطر
وريح
وقعقة أغصان

وانسكاب لون رمادى

متفاوت الدرجات

قلق.. لا يقرّ

وقصيدة قادمة.. لم تخلف وعدها أبداً

بعد قليل

يصبح لموسيقى القصيدة حلولٌ وعزف

ولإيقاعاتها امتداد واحتواء وتثنّ

يصبح للقصيدة حضور غامر

وأنا فى هذا الصباح اللندنى الاستثنائى

أبدأ يومى بالغناء!

فى الريجنت بارك..

ثمّة شجرة شاخصة تصلى وهى مستغرقة

كأنما مرت عليها دهور وأزمنة

لكنها لاتسأم صلاتها ولاتملّ

بعد أن أتاح ركوعها للعابرين ظلّة كافية
ومساحة لاثنيّن
الشجرة قائمة تصلى
والعابرون الذين توقفوا
واستظلّوا
لمستهم أمومة الشجرة
وطوّقتهم صلاتها
فاختلطت أصواتهم بصوتها
فى صمت خاشع
وسكون مفعم
والتقت عيونهم قبل حلول الغسق
معلنة عن ختام يوم مختلف
كانت فيه القصيدة تشحن القلوب
وصلوات الشجرة تتحلّ وتبتدّد
غماماً يتطاير بالبركة والأمان

فى الرىجنت بارك
يمكنك أن تصاحب الغمام
وأن تلامس السلام
يمكنك أن تُصلّى!

اصطحبتنى القصيدة إلى حفل موسيقى نادر
بينى وبين الموسيقى جدول صغير
يعبره العازفون من فوق الجسر
قبل أن يأخذوا أماكنهم فى المسرح الشجرى
على بساط أخضر فى كنف حديقة باذخة
ينتصب فى قلبها قصر تاريخى
الموسيقى من حولنا فضاءً نشوان
وسماءً قريبة الاحتمال
وفوق العشب شباب يستلقى
ثملا بروعة اللقاء

تدفئه تموجات صهد ونغم
وجرعات متقطعة من شراب
وأيدٍ متعانقة
تحت أغطية مُسدلة
تجاهد كى تردّ المطر المباغت
الموسيقى أرض للمشهد وسماء
تلتمع فيها بوارق من إيقاع
وشهب من جلوات العزف المشدود
وسيمفونية «شهر زاد» تفرش ظلها الظليل على المشهد
وهى تدغدغ فى سامعيها نشوة شهريار
وتأخذ بخيالاتهم إلى باحة قصر تاريخى مهجور
لعله هناك مايزال
لم يغادر موقعه
فى طهران
أو بغداد

وقبل أن نحلم بالهجوم والرجوع
مثل طفلين وادعين فى حنايا شجرة ملتفة
أطلقنا عندها الوقوف والتأمل
حملتنا القصيدة برفق
إلى وسادة أحلامنا الأولى

فى طريق العودة
متجهين إلى بوابة لندن
تاركين وراءنا جسدَ الحُلم
لم أتمالك سحابة دمع تهطل
وأفقا رماديا جديدا يُطلّ
الطريق الطويل، تحت السماء المودّعة
تتدافع معالمه المصاحبة، وتركض بنا
وكأننا نندفع إلى هاوية
والقصيدة إلى جانبي

ذاهلة، تحديق فى الفراغ الذى يتسع
والفضاء الذى لا أثر فيه لبنيانٍ أو شجر
هذى إذن خاتمة المطاف!
وبداية العودة من مدينة الحلم الرمادى
المغتسل بأمطار يوليو الصيفية
والمشربّ
بكل ما يملكه من هاجس الفضول
لقراءة أوراقنا القادمة
بحثاً عن مكان حميم
تسكنه القصيدة!

الجميلة تنزل إلى النهر

إنتارات

ملكتُ نفسي مذ هجرتُ طمعى اليأسُ حرٌّ والرجاءُ عبْدُ

(مهيار الديلمي)

إني وإن لُمتُ حاسديَّ، فما أنكر أنى عقوبةٌ لهمو

(أبو الطيب المتنبي)

تلوا باطلا ، وجلوا صارما وقالوا: صدقنا، فقلتم: نعمُ

(أبو العلاء المعري)

يا أهل مدينتنا

هذا قولي:

انفجروا أو موتوا

رعب أكبر من هذا سوف يجيء

لن ينجيكم أن تعصموا منه بأعلى جبل الصّمت

أو يبطلون الغابات!

(صلاح عبد الصبور)

الجميلة تنزل إلى النهر

كان بحرُ الصبابةِ
يقطرُ من مقلتيها
ويقذفُ درّ مدامعها
ثم يُغري بها الموجَ،
حتى تلينَ ...
وكانت على شطّهِ عاكفةً!
النوارسُ من حولها تتقاذفُ
وهي تحدّقُ في يَمِّها المترجرجِ

لا تستطيع التجرد
حتى تعاین عُرَى حقيقتها
واكتمال بهاء الأنوثة فيها
وها هي ذائبة في العناق
ومشفقة من دبيب المحاق
تزلزلها هزة راجفة!
الجميلة في نهرها تتوضأ

ها،

نَهْرٌ من حليب

نَهْرٌ من شعاع

نَهْرٌ من حليب شعاع

وظلال من السُّرورِ

تبسط من فوقها راحتين

وتعلنُ

. في جلوة الجسد المتحفز .

عن ساعة للبقاء

ومفتُوحٌ للسُّنفرِ

والنَّهْرَ

- ذلك المترئِّصُ -

مفتسلٌ بالجميلة

يخلعُ عنه الحياءَ

يمدُّ أصابعه في انعقاد البهائمِ

وتُغريه فتنتها بالحوارِ

فلا تستجيبُ

ويقنع باللمسة الكاشفة!

هي ذى تستحم بضوءِ النهارِ

وترجئُ تجفيفَ بشرتها للمساءِ

وتدهن بالمسك كلَّ مواعيدها

وهي تحلمُ بالفارسِ الذهبيِّ

وتسترجع الومضة الخاطفة!

* * *

ملء أيقونتي جسدٌ مُصمّتٌ

جسدٌ شاخصٌ

تتردد أنفاسُهُ فى الفضاء المُدلى فتُشعل زيتاً

وتُطلق طيراً يرُفرفُ

يُسقط ريش قوادمه

فوق ياقوتة القلب

ينطفئ اللهب المتأرجحُ

تَبَقَى من الضوءِ

نظرته الواجفة!

أنت كافورة؟

أم زمانٌ قديمٌ؟

وعيناكِ...

هل كانتا ذات يومٍ

ذؤابة كأسينٍ رجراجتينِ

تقافز ضوءُهُما بالرحيق المُصفى

وباح بعبء الجمال
ومكنون تَوَّق الرجال
ولذع احتراقِ البروقِ
الجميلة تقترح الآن نخبًا
لمن يستديرون حول نوافذها
فى انتظار مواقيت صحّوتها
ودها ليز صبّوتها
وانطلاقِ الشعاعِ المحلّقِ
يُعلن أنّ البهاء البديع أطلّ
وأنّ الرقاب اشْرأبتّ
تحاول أن تدرك اللحظة الآزفة!
هل دروا
أن خطّو الجميلة للنهرِ
مرتعشٌ
أنها رغم تاج الجمالِ

مفزعةٌ

وحده النهرُ يدركُ

عند انغماسِ معالمها

واحتضانِ مفاتها

أنها نزلت ماءً

خائفة!

يالها!

آه ..

قامتُكِ الباسقة!

هل تمد جذور تضاريسها

في الثرى العنبريُّ؟

وهل ...

حين تلتحمُ السَّاقُ بالسَّاقِ

أو تشرئبُ إلى موعد الليلِ

- يُسَدِّل سَحَرَ ستائره

وَحُمَيَّا مواجيدہ -

حين ترشِفُ من عسل النهرِ

جَلَوْتها

وتضىء عيون قناديلها

وغصون عناقيدها

وهى تهتزُّ فى شَطْطها

واقفة!

هل رأتْ ما رأى عاشقوها؟

وهل سمعتْ ...

ما تضحُّ به الريحُ للريحِ

فى الخلوات البعيدة؟

هل أدركتْ ..

أنها هدفُ للوشاياتِ

حين انحنى النخلُ للنخلِ

والغاب للغابِ

يعلن أن الجميلة

- عاشقةَ النهرِ -

خائنةٌ

وطقوسَ عبادتها زائفة!

فى الصباحِ الذى لم يجرىء، ودَّعتُ

قيل :

كانت على الشطِّ حائرةٌ

تستديرُ كأنَّ البلادَ تُطاردها

والعيونُ تُلاحقها

وهى واقفة ترتجف!

قيل :

كانت هنالك عاريةً

خرجت من فم النهرِ

وانفلتت من عناق الحبيب المراوغِ
تبحثُ في ورق التوتِ
عن سائرٍ
وتغطي بكلتا يديها
وتخشى الفضيحةَ
قيل :

استبد بها الوقتُ
فانطلقت لأتبالى بمن يهمسونَ
ومن ينظرونَ
ومن يلعنونَ
وأصفت
لعل صباحاً جديداً يجيءُ
تُبدلُ قوماً بقومٍ
ووجهها بوجه
وتلعن كلَّ المریدينَ

طائفةً

طائفةً!

ما الذى غيرَ النهرَ

صار بلونِ الدماءِ!

وماذا تبقى لها غير طعمِ المرارةِ!

عبأتْ رثيتها بفيضِ النسيمِ

ومضتْ نازفةً!

وطن أم امرأة

وطن أم امرأة؟
تداخلت الملامحُ
فالسبيل إليكما اتحدتُ
وناء بعبئه القلبُ
الذي احترف الغوايةَ
والجنونَ المستثارَ
لا حدَّ يفصل بين معشوقينِ
لا خيطُ،

ولا زمنٌ،
به تتوقف الأعمارُ
من ركُضٍ
ويندلعُ الأوارُ
ميلي برأسكِ
ينسدلُ ليلٌ
وتتطلق الرغائبُ من مكامنها
وينزلُ فوق شُرفتنا ستارُ
وطنٌ بحجم الكونِ
مبسوطٌ على الكفّينِ
مفسول بماءِ العينِ
يُبحر فيكِ أشرعةُ
ويقتحمُ البحارِ
ها أنت تقنعين لجئتُ
وتغترفين لؤلؤهُ

وترمين الطحالب،
والمحارَ
قد ذابَ فيكِ
وذبتِ فيه
فلا ضفافاً، ولا شطوطاً،
ولا قراراً
وطن بحجم الكون
مشدودٌ إلى عينيكَ
يشرقُ منهما
ألقُ النهاراً

* * *

وطنٌ أم امرأة؟
لعلكِ حينما عُمِدتِ
كان المسكُ ينضحُ
والزمان يسيل أنهاراً

ولونُ الشمس منسكبٌ على الوادى
ووجه الأرض يسطع بالفناء
لم تبخلى يوماً
ولا أغلقتِ بابَ الرحمة الكبرى
وأقبية الدعاء
هُم عند بابك ..
يُرهبون السَّمْعَ ..
علّ إشارةٌ تأتي
وبارقةٌ تضىءُ
فِيهِرَعُونَ
من منهمو سيفوزُ؟
يُترع نرجس الرغباتِ فيه
ويجعلُ السّاعاتُ أُلَهيّةً
ودائرةُ انتشاءٍ؟
أشرقّتِ!

. تلك جديدةٌ

مدّت ظلال أراكةٍ

وتفرقت أغصانها كالذّوحِ

يعلنُ عن مواسمهِ

ويفترعُ السماءَ .

الموكبُ الملكي متدُّ

نفرتيتي الجميلةُ قد أتت

فتهياؤا للحفل يا قُصادِ ساحتها

فها

وطن بأكملهٍ يسيرُ

وهؤلاءِ:

كهانُ وادى النيلِ،

والصلواتُ،

والخير العميم يفيضُ،

والدنيا يُظللها الرجاء

مُدَى يَدَا
تُحْيِينُ جَدْبَ الرُّوحِ
- حِينَ تَشَقَّقْتِ عَطْشًا -
أَلَسْتَ النِّيلَ حِينَ يَفِيضُ؟
وَابْتَسَمِي
الْعِبَادُ عَيُونُهُمْ ظَمَأَى
وَسَحَرَكِ كَانِدِلَاعِ الْجَمْرِ
وَالصَّبَوَاتُ حَاشِدَةٌ
وَمِثْلِكَ لَا يَلِيقُ بِهِ الزَّحَامُ
وَلَا الْقِرَابِينُ الَّتِي حَمَلُوا
وَيَمْتَلِئُ الْخَلَاءُ
أَخْفُوكِ؟
لا ..
لَا يَقْدِرُونَ،
تَدَافِعِي فِيهِمْ

وسيرى

- الأرض جائعةٌ -

كأنك نصفُ تمثالٍ

نُخْمَنُ نَصْفَهُ الخافى

ونخترعُ البهاء!

* * *

وطنٌ أم امرأة؟

وأنتَ تلاحقُ الوجهين

يختلطانِ

يشتبكانِ

كيف تداخلت فيك الخطوطُ

فأصبحت قوساً

وأوتارا تُمارسُ حدّها الأقصى

وتتفرُّ

حينما تمتدّ من خلف السياجِ

أصابعٌ تتحسّسُ الوجّهَ القديمَ
وتستريحُ إلى نُتوءٍ في الجبينِ
وحافةٍ تلدُّ المخاوفَ
هل رأيتَ غزاةً تعدو
تسحُ
تُجاوِزُ السهَمَ الذي لم ينطلقَ
لكنما الصيادُ يُمعنُ في غَوايته
وينتظرُ الذي يأتي ..
وحين يجاوزُ المرسى
تُلحُّ عليه خاطرةٌ
بأن اليوم قد ولى
وشمسَ حياته غرّبتَ
فيفترشُ الأديمَ!
وطنُ أم امرأة؟
سكنتُ إليكِ

هذا بأبكِ العالى
ومتكئى،
وسقف رغائى
ما عادت الدنيا تُرقرق أنسها الحانى
وما عاد الصحابُ همو الصحابُ
ولا الوجوهُ هى الوجوهُ
فهل لديكِ الآنَ
ما يدحو الهجيرَ
لتستظل قوافلى!
حَسَكُ على حَسِكِ
وأنت أراكةُ
فتهدلى
خضراء باسقةُ
تعشش فيك أسرابُ اليمامِ
وواصلى

صَوَّبَ الغمائمِ
وامتلاءً جداولي
الآنَ،

هل من قارئٍ للنجمِ
علَّ النجمُ يكشفُ سرَّ طالعه
ويختصرُ المحالَّ
ها أنتِ بعضٌ من سديمِ الكونِ
يسبحُ في انهماكِ الضوءِ
مُرتعشاً

ويفهبُ بالسؤالِ:

من ذا يمدُّ يديهِ للآتى
يُهددُ مولدُ الدنيا
ويفترشُ الجمالُ؟

أيها الصيف الذي ولى سريعاً

يرحل العشاقُ،
والسّامر ينفضُ
وضوء شاحب في الأفقِ
ينسابُ حييًّا وخجولاً
واصطخابُ الموجِ مازال
على الشاطئِ ينداحُ
ويُلقي عنه عبئاً
ظلّ يرعاهُ،

عزوفاً

وملولا

كلَّ عامٍ حينٍ يأتونَ

يجيئونَ خفافاً كطيور البحر

ترتاح إلى أولٍ وكَرٍ أو شَرِكٍ

ثم يمضون،

ثقالَ الخطو والروحِ

يجرؤون الرهانَ المستحيلاً

لم تزدنا

. أيها الصيفُ الذي ولى سريعاً .

خبرةً بالوقت

أو وعياً بما سوف يجيءُ

من لُغات الليل،

أو كشفاً لما يزحمنُ

من وجَلَ العمر

وأحزان البحارِ

كم تمنينا
لو انهلت علينا
بنثرات من الأنسِ الذي تحمّلُ
كى يُشرق فينا
والتجارب التي تدفنها كفاك
ما بين الرمال
بعد أن داس عليها العابرون
- يطمسُ الرملُ الخطى
والناسِ،
والصبوةَ
والأحلامَ
والفتكةَ
واللهو البريءِ -
ثم لا يترك فينا
غير إحساسٍ غريبٍ

ودُوارًا!

دون أن ندري

بأن الشاطئ الممتد يبكي حظه

خلف أستار لياليك الطويلات القصارًا!

رحل العشاق..

وامتدت سحابات من الغيم الذى حلّ

وغيم رفّ فى صهد الحنايا

واستدارًا

لم تزدهم أيها الصيف الذى ولّى

سوى بضع غُضونٍ

وخطوطٍ نسج العمر عليها

- دون أن يدروا -

نسيجاً عنكبوتياً

ودمعا جامداً فى نقطة فوق العيون

آه كم يسرقنا الوقتُ

وكم تُنتهبُ الأعمارُ
لا نقوى على الإيقاعِ
والركضِ،
ولا نحنُ توأتينا السنون
لا،

ولا نحنُ استرحنا
من جنونِ وانبهارِ!

* * *

أيها الصيفُ الذى ولى سريعا
قفْ
تمهلّ..

أنت لاتدركُ ما أهديتَ لى!
حين لاقيتُكَ
فى يومٍ من العمر الذى ولى
وقد جئتَ خجولاً،

وحيا

كان ما أعددتَه حُلماً بهياً

أملاً مخضوضراً،

أعبرُ منه للخريف

غيرَ خائف

من شتاء قادمٍ

يعتصرُ القلب

ويُبقيه وحيداً

وشقياً

أنت لا تدركُ ما حجم عطاياك

ولا مقدار ما أوليتني من أنعمك

أيها المغدقُ من غير حساب

فيضكُ الغامرُ قاتلٌ

فترفقُ

أعطنا الفرصةَ

أن نرتشفَ الشَّهَدَ المصنَّفَ
قطرةً

من بعد قطرة
ونعيدَ الرِّشْفَ،

حتى النشوةِ القصوى،
ونحسو مرةً في إثر مرة
فالذي أعطيتنا كنزٌ وفير
يملأُ العَمَرَ

ويبقيه فتيا ونديا!

* * *

قفْ تَمَهَلْ..

إنَّ في القَدَسِ شتاءً قادمًا

أثقلُ من كلِّ شتاءٍ

وعيوناً . رغم عَصْفِ اليأسِ .

فيها ومضةٌ من كبرياء

ترقبُ اللعبة في الأيدي بلا أى انتهاء

وترى الباغين أقزاماً

وما بينونه تلاً على الرمل،

هواءً في هواءٍ !

فليصوغوا الكون للزيف،

وللعهر،

كما شاءوا، وشاءَ

لم نزل نملك حُلماً

في غد يأتي

- سيأتي -

حُلْمَ تصحيح الموازين

وترويض القضاء !

قفّ تمهل أيها الصيفُ المؤلّى

إن في بغداد طاعوناً

وأسرى مُستدّلين

وأنصافَ سبايا،

وإماءً

ورجالاً أسلموا للصبر أعماراً

وليلاتٍ بحجم الرعب والموت

تتأثرن هباء

وجحيماً ما جَ في «دجلة»

يشوى الأبرياء

قد تشظى قمرُ «الكرخ»

على جسر «الرّصافة»

و «الفراتُ» العذبُ مخنوقٌ

ولا قطرةُ ماء!

فمتى يرحل عن بغدادَ

طاعونُ الوباء

ومتى يرتاح في بغدادَ

شعرُ الشعراء!

ومتى يُرفَعُ مَقْتُ اللَّهِ

عن هذى السماء!

أيها الصيفُ الذى ولىّ سريعا

قفّ ، تمهّل

ما الذى سوف تقول

لألوف القادمين

من فجاج الأرض،

- يا صيف الأمانى الخادعات -

تفتح البابَ إلى الحلم الذى

شأغَلهم دهرا طويلا

ليروا فى وجهك الغامض سيماء الوطن!

إنهم فى قبضة الصحراءِ

يرجون نهايات المطافِ

أملاً فى صدرك الواسعِ

حنّانا ظليلا

مدن الأحلام لم تُفّتح لهم
والنهاياتُ . التي كانوا يُرجّون .

بعيدة!

والوطن..

. ذلك المعنى الذى يكبرُ فى الغربةِ فينا

وهو يمتدّ عميقاً وجليلا .

لم يزودهم . وقد جاءوا .

بما يرجونه ، إلا قليلا!

فاسمع الآنَ غناءَ الناسِ

شجّوا وعويلا :

ألهدا أيها الصيفُ تجمّلتَ طويلا

وتواريتَ سريعاً وحزيناً وذليلا

تاركاً فى القلبِ عبثاً

ضاغطِ الهمّ،

ثقيلا؟

حائط الوطن العارى

مُطْفَأَتُ عِيونُ يَوْمِكَ كالأَمْسِ

فأشعل بريق عَيْنِكَ

جَوَابًا

وبادر إلى الفُجَاءَاتِ

وارحل

لا تقف،

لا تقف،

فما نَمَّ منجاةً

ولا تلتمس سواك دليلاً

فليس غيرك للوقت

ولا ثمَّ حائطٍ للتوسلِّ!

أنت والريحُ واحدانِ

فمن يقوى؟

ومد الحريقِ عاتٍ

وهذا القلبُ بالموتِ والكآباتِ

مُثقلٍ..

انطح الصخرة الكئودَ

وجاوزْ ضفةَ النهرِ، والسؤالِ

وقلْ

هذا أوانُ حسمِ الإجاباتِ

فما عاد بديلاً

وكيف!

والكونُ كله قد تبدل

والزمان الذى يُداجيك بالعدلِ
سراب من الخرافة والوهم
زمان مخادع ..
ويرى فيك غاصبا
ويرى أرضك حِلاً لقاتليك
وأنفا سك بغيا
ونور عينيك ذنبا
والعيشَ
موتا مؤجلا!
أضرمِ النار
تقتلِ النار بالنار
وفجّر فى لحظة الموت والبعث
خلاياك ..
تتأثرن فى الفضاء الذى انداح
وشكّكن حروفا ..

لطلعةٍ تهلل!

* * *

يا صغيرى الذى بكيتُ

وكم أبكى..

غداة أصبحت ذراتٍ جحيمٍ

. لعله يوقظ الموتى .

وأنفاس نسيم

بعطر أرضك تخضلُ

وعمرا من النبوءات أحفل

أنا ذا أحتمى بظلكَ

يستشجر قلبى

تمتد فيك فروعى

يُضحى يقينى سماءً

وجمر غيظى معراج بهاءٍ

ويأسُ روحى ينحلّ!

صاعدا فيك سلما
من مراقيك
تجاوزتُ فضاء مسيِّجا
وجدارا يتداعى
وثكالى يهزجن للرعب والويل
رجالا يجرجون نعوش الصبر
يسعون
فى مصير مُكبَّل
أنت لم تمتك سوى جسمك الغضُّ
وطوقٍ يلتف حولك مزموما
وقلب يُشع فى هالة الضوء
يقينا ..
مضى له ، وتوكل ..
لم تُرع .. لم
حين جسّت يداك مفتح الفجر
وكان الزنادُ أقرب للقلب

والقلب فورة من أهازيج

وفوَّحُ الربيع

أندى

وأجمل!

* * *

أيها المسرع الخطى

أيها الصاعد فى فردوسك الرحب

شعاعا

وجها من النور والطهر

هتافا

من الذرى يتسلسل

الشظايا تناثرت..

فانحنى الرمل يُسجِّيكَ

وودّت زيتونة لو تغطيكَ

بأهدابها

والسماء لو تترجّل!

أمك الأرض تحتويك

وقد عدت جنينا

يظل في رحم «الكرمل» جمرا

نيرانه تتشكل

هذه الساعة التي يُسعف العمر

بميقاتها الذي يوقظ الحُلم

- تجيش الصدور بالوعد ينهلُّ -

ودقاتها التي تبلغُ النجم

وتُغرى الشباب ..

كى يتجمل ..

فتجملت ..

ليس أجمل من سعيك

والجسرُ عبور

وبرزخ بين عُمرين

ونهر ينساب ما بين كونين

وخطوُّ

إلى المصير المعجل!
قد كسبنا الرهان باسمك
فالموت صغير ..
وحائط الوطن العارى :
جدار يقوم إثر جدارٍ
وخيام تدق بعد خيامٍ
وسماء تمتد بعد سماءٍ
ومنايا مرصودة للطواغيتِ
وشعبٌ أقوى ولو كان أعزل!
يا صغيرى الذى بكيتُ ..
وكان الدمع جمرا
والقلب قبرا
وكان الكون يجتاحنى حريقا
فلا أبصر ..
إلا دخان عُمر تجعدُ

مفردٌ أنت ..
ساطع في تجليّك
سؤالا يظل يوغل فينا
وموعداً كم تأجل!

الرماد أمامك ..

الرمادُ أمامكَ
والبحرُ خلفكَ ..
فاتركَ . لمن خلعوك . الخلافةَ
هذا زمانٌ لدهماء هذا الزمانِ
يعيئون فيه فساداً
ويرجون منه امتداداً
ويحيون ..
يرتكبون صنوف الخطايا

وفى طيشهم يُؤغلون

فلا يستديرُ إليهم أحداً

الرمادُ يسودُ ..

تقدّم ..

وكن واحداً لا نصيبَ له

فى الرهان

ولا شوكةٌ تستفزُّ،

والآ ...

فأنت الحصاةُ التى تُفسدُ الزيتَ

فى آلة الناهيين،

وأنتَ البلاءُ المُسلطُ،

أنتَ الدمارُ المُسيطرُ

حاذرٌ

فرأسكَ أولُ ما سيطرُ

إن ارتفعَ الرأسُ عن شبره المُفترَضُ

أو تجاوز أبعَدَ من كَتَفِ القَانِصِ
المُعْتَرِضِ

أو تَأَمَّلَ بَعْضًا مِنَ اللُّوْحَةِ المُدْهَشَةِ
مشهداً ،
مشهداً ،

كازدحامِ الأفقِ ..

بالجِياعِ الذين يبيعون أعمارهم
لاقتناءِ رِصاصة

والصغارِ الذين يسيرون
تحت النَّعْوشِ

لكى يكبروا فى القبور

والشيوخِ الذين يُؤَهِّلُهُم عجزهم
لابتلاعِ المرارة

حين ينهار حائطُ هذا الوطنِ
فوقهم ،

ينهضون، كأن الجدار خَرَفَ
والمنايا شرف
والبُغاةُ - لجهلهمو - يحسبون
أنّ هذا الذى يحلمُ الشهداء به
ترفُّ
أو خَرَفَ!

السباقُ الذى لم تعدْ طرفاً فيه
يبدأُ قبل انطلاق الأذانِ
وقبل انبلاج الصبحِ الذى
لن تراه،
وقبل اعترافك بالذنب
هل أنتَ أذنبتِ؟
لاتبتسّ
فالجميع يدورُ مع الدائرة

رغبةً

أو مخافةً!

طمعاً

أو إضافة

أو دُنُوًّا من العرشِ..

عرشِ الخلافة!

الجميعُ!

- الذين تصوّرَتهم يُهرعونَ

- الذين تصوّرَتهم يصمّدون

- الذين تصوّرَتهم بين بينَ -

ولكنَّ صَوْتَك ما زال..

صوتك يُحدثُ وُخْزَتَهُ

في ضمائرَ لا تستجيبُ

ولكنها تتجملُّ ..

إن الرمادَ أمامك

عمرٌ بكامله فى انتظاركَ
تُصبحُ فيه الرياحُ سَموماً
ويشتعلُ الماءُ جمرًا وغسلينَ
تهرعُ حتى الشياطينُ
هاربةً من جحيمِ القيامةِ
قلِّ للعداواتِ هذا زمانُكَ
يُعشِبُ،

هذا فضاؤُكَ تُفرِّخُ فيه الأفاعى
وينقلبُ السحرُ يفتكُ بالساحرينِ
ويأوى الصعاليكُ
فى ظلماتِ الكهوفِ
وتهوى الأوابدُ عبْرَ المفاوزِ
وهى تُتقَّبُ عن طللٍ فى الرمالِ
هنالكِ..

تُصبحُ عوْلةُ الفاتحينِ شظايا
وبعضُ زجاجِ تهشَّمِ

فوق الرؤوس المليئة بالكبرِ
لاتملك الآن غير الخشوعِ
لسيِّدها الموت
يدفعها فى اتجاه العنادِ
وفى لُوثة الكبرياء
لعلَّ الجراح يُرممها الثأرُ
والثأر نازٌّ بغيرِ انتهاء!

* * *

الرمادُ انطلقَ ..
هل تُطبقُ لصهيون هيمنةً لاتُردُّ!
وهل تتنازلُ عن قُدسِ أقداسكِ
المستباحة؟
هل يُطمعونك حتى تكونَ شريكاً
وأنت الذى يتعلق حوْلَكَ
كل الذين يروّتك خيِّطَ الرجاءِ

إلى وطن مُستباح
وأرض بأحمالها كَم تثنُ
وخاتمة - حُرّة - للمطاف؟
هل تخونُ دمك؟!
إنه وطن ساكنٌ في شرايين قلبك
ملتصقٌ في وتينك
مشتعلٌ في رُؤاك
ومُخضوضل في جبينك
مرتسمٌ في يقينك
منطلق في جناحيك
محتشدٌ في قرارة ذاتك
مُستمسكٌ بالضلوع!
فانطلق ..
لا رجوعاً
الرمادُ أمامك
والنيل خلفك ..

يغلى

وفى الصدر أنفاسه من لظى
والضفاف بما حملته

تفوراً!

إنه مدد من عيون السماء

على كوكب الأرض

. فى قبضة الباطشين العتاة .

وعمرٌ بحجم الدهور

هو ذا شاخصٌ ..

. هم يظنونه يتراجع .

ها ظلُّه يترامى ..

وموجاته تتدافع ..

فى موكب الغضب المستطير

فاض من دمع إيزيس

منحدرًا فى الزمان

ومخترقاً للشعاب

وَمُسْتَلْقِيَا بِالْأَمَانِ

وها نحن نفسل أوزارنا

ونُصلِّي ..

ونُقَسِّمُ أَنْ نَحْفَظَ الْعَهْدَ :

«كيف أكون جديرا بقطرة مائك؟»

إنك أسمى ، وأنقى

تأملتُ وجهيَ في لمحّةٍ منك،

في صفحةٍ من بهائك

فارتعتُ ..

هل هذه صورتي في مراياك ؟

كيف أكون غريباً إلى ذلك الحدِّ!

أصبحُ مختلفاً عن يقينيَ

مُبتعداً عن صفاتيَ

مرتبكاً،

أتخاذلُ ..

هذا أوان التطهر فيك

لعلِّي أصعدُ

تمنحني من سجايك
مرتبةً ، فأشيعُ عن القهرِ ..

لا!

بل أطاعنه ما حييتُ

ولو متُّ جوعاً

وهُدِّدْتُ دهرأ

ولو لم يعدْ لي صديقٌ سوايَ

ولا حائطٌ غيرُ جلدِي

ومتكأٌ غير مائكُ

مسرَّجةٌ غير وجهكُ

أنتِ الرفيقُ الذي لا يخونُ

وأنتِ المَعِينُ الذي لا يضيقُ

وأنتِ الدليلُ الذي لا يُضلُّ

وأنتِ الزمانُ القديمُ الجديدُ

الزمانُ الذي ليس عنه بديلًا،
فلتطلُّ هجماتُ الرمادِ القبيحِ
وليضعَ مرةً واحدةً
ما بدا واهناً من رجاءٍ شحيحٍ
وليفزُ بالغنيمة من يُهرعون
ومن يؤجرونَ
ومن يهتفونَ ..
لا يهَمُّ!
وحدك الآن ..
تبقى مدى الدهرِ
أنت الحقيقيُّ،
أنت الصحيح
وأنت الجميلُ الجليلُ!

قلبي معك

قلبي معك ...

يا أيها المعقود مثل الضوءِ

في فجر جديدٍ أطلعك

قلبي معك ..

يا أيها المنحوتُ كالتمثالِ

من غضبٍ

ومن حزنٍ نبيلٍ

من ذُرَا حُلْمِ بِلُونِ الْمُسْتَحِيلِ
ومَنْ ثَرَى وَطَنٍ بِحَجْمِ الْكُونِ
فِيهِ أَلُوفُ أَعْنَاقِ الرِّجَالِ
تَطُولُ
تَصْعَدُ فِيكَ

تَرْقُبُ فِي جَبِينِكَ فَخْرَهَا الْعَالِي
وطلَّعْتَهَا الْوَضِيئَةَ بِالْجَلَالِ،
وَأَنْتِ تَبْدَعُ فِي مَسَارِكِ
فِي عُرُوقِ الْكِبْرِيَاءِ
بِمَثَلِ لَفْحِ الْكَهْرِيَاءِ
مُحْمَلًا قَلْبًا يَظَلُّ يَذُوبُ
فِي وَطَنٍ عَظِيمٍ أَبْدَعَكَ!

قلبي معك

في «بيتنا العربي» حين تجوسُ فيه

وأنت تقصدُ موقعك

حاذرٌ

فآلافُ العقاربِ والأفاعيِ كامناتٌ

واحترسٌ

فالسوسُ ينخرُ في العمائمِ

والشواربِ واللحي

والإخوةُ الأعداءُ

يُخفون الخناجرَ في الجيوبِ

نصائلها تهتزُّ في وقتِ العناقِ

وتنتشى بعدِ الفراقِ

تطلُّعاً لدمٍ يُراقُ

فلا تُرعَ ..

كم عاصفٍ واجهتَ

كم لغمٍ مررتَ به

وكم ذنبٍ تحيرَ فيك

لا يجدُ السبيلَ إليكَ

مُنحرفاً

وكم زيفَ كَشَفْتَ

وأنتَ تَشْمَخُ باليقينِ

تُجادلُ البهتانَ

لا الرأسُ انحنى يوماً

ولا العنْفُ المكابِرُ رَوَّعَكَ!

قلبي معك ..

وأنا أطلعُ - ملءَ عينيكَ -

انهمارَ الحزنِ

يعتصرُ الضلوعَ ...

وأرى اصطراعَكَ حينَ تأوى في ظلامِ اللَّيلِ

حينَ تشاهدُ الهولَ الذي يطغى

فتزدحمُ الصورُ

وتسائلُ النَّفْسُ التي امتلأتْ

بأحزانِ البشرِ:

كم أستطيعُ لهم!

وهل تهتزُّ هذى النخلةُ العجفاءُ

يوماً بالثمر!

وتفرُّ حباتُ الدموعِ

مازلتْ - فى الليلِ البهيمِ -

تظلُّ تبحثُ عن شعاعٍ فى المدارِ

وكوكبٍ يُومى إلى السارينِ

أو نجمٍ بعيدٍ قد أشارَ

وأرى يدَيْكَ تُنقبانِ،

وتضريانِ على الجدارِ

حاذرٌ ..

فإن «البَيْتَ» من ورقٍ

وأعمدة «الكلام» إلى انهيارٍ

وأراك حين تُطالع الوجّه الكذوبَ

وقد تزيّاً وجه محتالٍ

وأمسك رمح عنترهٍ

وصالٍ وجالٍ...

منشياً بزهو وانتصارٍ

وأراك تلغنهُ

وتلغن كذبهُ المفضوحَ

فى وضح النهار ...

هذا الذى قد جاوز الحمقى

وراح يُطيلُ فى حبل السفاهة

والخرفَ

لا يستحقُّ إشارةً ... حتى ...

فوقّرْ إصبعك!

قلبي معك

وانا أرى فى هجمة الطفيان
طوفانا يزلزلُ مضجعكُ
السفلة الأوغادُ
قد دقوا طبولَ الحربِ..
وانكشف الغطاءَ عن السلامِ
المستحيلُ
فليبتوا مدناً على أنقاضنا
وليملأوا التاريخَ ثارات وأحقاداً
- صحائفَ للغد الآتى -
نورثها إلى أحفادنا
ولينصبوا للعابرينَ الأمنينَ فخاخهم
وليجرموا
فالعابرون همو...
وتبقى الأرضُ للشعب الذى
تتأمرُ الدنيا عليه

فهمة همان:
همُّ السفلة الأوغادِ من صهيونَ
مُذَّ وطئوا ...
وهمُّ الإخوة الأعداءِ
يخترعون في «لغة الكلام»
مدافعاً
وقذائفاً تُصمى
وموتاً للبرابرة - الغزاة!
فليسكتوا أو يرجموا
لغةُ الكلامِ اليوم من حجرٍ
فقلْ للقوم لا تتكلموا
ولينته البلغاءُ من سحرِ الكلامِ
ووقعه الرنَّانِ،
ألقِ عصاك يا موسى
وأبطلْ ذلك الإفك اللعينَ

مُكاشِفاً ،

ومُباغِثاً بالحقِّ،

هذا كُلُّهُ ... لن يخدعك!

آن الأوانُ لنفخةٍ فى الصُّورِ

كى ترتجِّ هذى الأرضُ كالزَّلزالِ

ماذا يملكُ الأبطالُ إلا أن يكونوا

فى الجحيمِ قذائفاً كى تتفجر؟

وقنابلاً موقوتةً فى وجه أعداء

الحياة؟

لم يبق فى الأيدى سوى جلدٍ

العروقِ

ورجفة العصب الذى قد دمَّروه

آن الأوانُ لنفخةٍ فى الصورِ

تدعو أمةً كانت ...

تكون الآنَ ... أو لا ... لا تكونُ

وهناك فى «الأغوار» شيخ ساهرٌ

كى يسمعك!

قلبى معك ..

وجميعُ من كرهوكِ

. تعرفهم لحسنِ الحظِّ .

لا يدرون أن الناسَ كنزكُ

شجَّوهم قد دلَّهم

. ما دلَّهم أحدٌ عليكِ .

فكنتِ أغنيَةً وبعضُ عطاءِ مصرِ

ولمسةً من سحرِ هذا النيلِ

حين يضحُّ فى روحِ الرجالِ

هل يدركون الآن معنى ..

أن يكون المرءُ ذا شرف ...

ولم يعلِّقْ به يوماً سؤال؟

هل يدركون الآن معنى

أن تكون لمصر جندياً ..
وقائدك الحكيم يراك أجدراً بالقتالِ
وبالنزالِ ؟
لو يدركونَ ... لباركوا فيكَ الذى
صاغتهُ مصرُ
ونيلها الحانى
وفيضاً من هواهُ
أودعكَ!

* * *

قلبي معك ...
يا قادماً مثل المسيح
يعيدُ للميت المسجى روحهُ
فتدبُّ فيه روائح الأرض التى سُلبتُ
وتتبض فيه أصواتُ الذين تساقطوا
بدمائهم تخضوضرُ الدنيا

ويعطى الكرّم والزيتونُ موسمه
وينتصب الرجالُ ..
يا أيها المنذورُ للوعد الذى يأتى
وللحلم الذى مازال مُرتسماً
وللوطن الذى لن ينحنى،
قلبي معك!
قلبي معك!

اللوحة الغائبة

نستطيع - إذا غابت الأرض -
أن نتخيل خارطة،
وحدوداً،
ونملاً هذى الحدود نقاطاً
لتصبح هذى النقاط دوائر
يطلع من بينها وطن
ووجوه يُعششُ فيها الغياب
سنسكنُ ملء ملامحها

نتنقلُ عبْرَ تضاريسها

ونحاول أن نستعيد الذى مايزال بعيدا

وننظر للأفقِ المستحيلِ

هنالك لا صوتَ تُطلقه الخارطة

وهنالك..

لا لون يقفز بين دوائرها

خضرةً،

ورمالاً

وماءً..

هنالك،

لا لون غير الدماءِ

وغير السرابِ المِراوِغِ

ها نحن نمتلك الحُلْمَ

نحلمُ أن هنا الدار والبابَ والمنتكأ

وهنا،

زَعَتَرَ الْغَوْرَ،
وَالكَرْمَ،
وَالرَّائِحَةَ ..
وَزَيْتُونَةً لَمْ تَزَلْ وَحدهَا صَابِرَةً
فِي انْتِظَارِ الْخَرِيفِ الْحَزِينِ
وَلذَّعِ الشِّتَاءِ،
وَأَقْبِيَةِ النَّارِ وَالْمَذْبِجَةِ
ثُمَّ،
شَيْئًا فَشَيْئًا
تَغِيبُ الظَّلَالَ،
وَتُطْوِي الْمَسَافَةَ
هَذِي أَصَابِعُنَا
لَمْ تَزَلْ تُمَسِّكُ اللَّوْحَةَ الْغَائِبَةَ
وَتَخَطُّ خَطُوطًا
لِخَارِطَةِ فِي الْغَمَامِ

وتتدى بدمع من القلب يصعدُ
نبحثُ بين النقاطِ
وبين الدوائرِ
بين الخطوطِ
وبين المعابرِ
فَنُجْهَشُ حين يُخَيِّمُ فينا السكوتُ
ولكننا
أبدًا
لانموت!

الجبل

قلتُ :

أستأنسُ الآن هذا الجبل!

ثم أبني من الصخر بيتيَ

- غيرى يُشيدُ منه البروجَ

يُدشِّنُ فيها مواليدَهُ

ويتابع دورة أفلاكِهِ

غانماً

فاتكأُ

ويُلففُ أحلامه في الشُّفوفِ

وسوانا

- من الهمَلِ العابرين -

يلاحق مأمّنه في الكهوف!

الجبّالُ تدور مع الوقتِ،

تسطع في وقدة الشمسِ

فارعةً،

تستفزُّ الصعود إليها

وتُغرى بقمّتها المشتهاةِ

ولكنها تتحدى الوصولَ

وتلتفُّ هاجعة في مدى الليلِ

تُطلق أشباحها في الفضاءِ

وتتشدُّ ملحمةً للظلامِ

تتوجُّ سيرتها بالحتوفِ!

الجبّالُ،

الجبالُ الرواسى

فضاءاتُ حلمٍ

شُفوفٌ

كهوفٌ،

حتوفٌ

وأسطورةٌ حملتها الرياحُ

ودارت بها

- وهى معولةٌ -

تستحثُ الخطى

وتشقُّ الصفوف!

* * *

صاغراً

عدتُ من رحلتى

كاسفاً، أتساندُ

ظلى يلاحقنى

- من أمامى وخلفى -

وأوشكُ أَعَثُّ

مصطدما بانهمار الظلالِ

ومشتبكا بانعقاد الطيوفِ

ما الذى قد حملتُ؟

ذؤابة ليلٍ تسرّب منى

- وكان يُزيّن لى صحبةً -

وبقايا رطانٍ

- أحاول تمييزه دون جدوى -

وأخدود حزن بقلبى

- دفنت به ثلة من رفاقٍ -

وثلجٌ بنفسى

رضيتُ به،

واطمأنت سمائى

فأمطر ياساً، وهماً مقيماً

وشكًا

رجعتُ إلى حائطٍ، لم أجدّه،

ومتكأً كان بعض ملاذى

ولكنه ما يزالُ.... الجبلُ

شاخصا،

فارعا فى الفضاء المخيفِ

ومقتحما للسماءِ

يخايلُ..

هل أستجيرُ بحرمة هذا الجدارِ

وأسبحُ فى جلوات الكشوفِ!

المدائنُ مثل سحابٍ

وترحلُ فى الغيمِ،

لا تستقرُّ

مدنُ كالخيالِ المراوغِ

تدنو

وتأى

وتقلتُ مثل السرابِ المخادعِ

هل نحن فيها؟

وهل سكنتُنا؟

وهل شُبّهت للعيونِ

أم اخترعتها غواياتنا

وانطفأنا بها

مدنٌ هشةٌ

تتطاير مثل الغبارِ

تغوصُ

وتهربُ في الذاكرة

مدنٍ للهروبِ

فمن يسعفُ الآن للحظة الحاضرة

آه.. كيف نُصدّقها

وهي تقماتنا

ثم تقذفنا،

لمحالٍ خبيٍّ وراء محالٍ!

مدنٌ نشتهى

لو تكونُ يباباً..

وأنا جبالٌ!

رؤيا

رأيتُ الذى لا يراه سواى..

فقلتُ لِنَفْسِي:

لو أنى نطقتُ بما أسعدتني به الحالُ

ما صدقُ الناسُ

وارتابُ أكثرهم فى يقينى وظنى

وقالوا: «له الله»!

يهذى بما ليس يدرى

ويُبصر ما لا يُرى

ويضلُّ ضلالاً بعيداً

له الله !»

.....
فعلاً، لى الله

- قد لا يكون الذى حرّت فيه جديداً -

وماذا أرجى من الغافلين!

وهم فى عمائتهم بينّ بينّ

فأنا يروّن،

وأونة لا يروّن!

وماذا أريد من العصابة الفاتكين؟

وقد أمسكوا برقاب العباد

ولكنهم فى ختام المطاف

حثة هذا البشر!

وماذا إذا بُحّت بالسرّ؟

هل يقتلونك ؟

منذ قديمٍ بياحُ دمُ العاشقين..
- إذا نطقوا
أو أشاروا -
وهل يُطلقون لسانى - قسراً -
فلا أتوقفُ..؟
حتى يروا قاعَ نفسى
ومكنونِ ذاكرتى
ونفائسِ مقتنياتى
وغيبى وصحوى
وحتى أرى عارىاً..
قد خرجتُ كما قد وُلدتُ..
بلا شملةٍ أو دثارٍ
- لماذا يريدوننا هكذا دائماً
أن نكون عراةً -
وساعتها، يطمثون لى

ثم يُفسحُ شيخُهُمُ لى مكانا
لعلى أجالسهم..
وأقول الذى لم أقلهُ،
- الذى لا يراه سواى -
فأحكم إغلاق نافذتى
- حين أُطرقُ فى داخلى -
ثم أبكى !

رأيتُ على حافة الأفقِ عاصفةً من دخانٍ
ومن حولها شررٌ يتطايرُ
ناساً تُهرول فى اللامكانِ
وشياً فشيئاً
يصيرُ الدخانُ أفاعىً
والناسُ جُرذانَ ليلٍ تقاذفه الرعبُ
والأفقُ نافورةً من دماءٍ

وشياً فشيئاً

تصيرُ الأفاعى حبالاً

تطولُ وتلتفُّ حول الرقابِ

فتختقُ الكائناتُ

ويشتعلُ الكونُ،

تسهلُ نيرانهُ فى الفضاءِ

وتصطدمُ الأرضُ

- وهى تدورُ -

بذئيل السماءِ

رأيتُ الذى لا يراهُ سوى

فهل ما رأيتُ نذيرُ بشؤمٍ؟

وهل هو قارعةٌ؟

أم ديببُ فناءً؟

رأيتُ على حافة الأفق برقاً يضىءُ

فِيَعْقِبُهُ الرِّعْدُ،
قَلْتُ: سَتُمْطَرُ
يَنْهَمِرُ الرِّزْقُ،
وَالأَمْنِيَاتُ الحَبِيسَةُ،
يَنْفَتِحُ المَغْلَقُ المِتَابِيُّ
فَتَخْضِرُ هَذِي القُلُوبُ الشَّحِيحَةُ
تَرَوِي النُّفُوسُ اليَبِيسَةَ
يَمْتَلِئُ النُّهْرُ
يُرْفَعُ مَقْتُ السَّمَاءِ
وَيَنْقَشِعُ القَهْرُ
تَزْدَحِمُ السُّوقُ بِالكِبْرِيَاءِ..
فَوَاحِسِرَتَا!
حِينَ خَابَ الرِّجَاءُ
وَلَمْ يُسْعَفِ البَرَقُ والرِّعْدُ:
بَرَقَ كَذُوبٌ

ورعدٌ عقيم
ولكنه الأفقُ يهطلُ مهلاً
ويوقظُ حقداً دفيناً،
وثأراً،
وغلاً
وجيشُ المجاعةِ
يفتكُ بالسدجِ الصابرينَ
وبالخانعينَ
وبالأغبياءِ!

رأيتُ يداً من بعيدٍ تُمدُّ
فأدركتُ أنْ النهايةَ حانتُ
وأنى أشدُّ إلى موقفِ الهولِ
فارتعتُ..
يا للفرابةِ!

كيف تضععتُ حين أتى ذكرُ هذا الذي

ليس منه مفرٌّ؟

وكيف تداخلتُ

مُلتمسًا بعضَ نفسي

وبعضَ اعتدادي،

وزهوى بأمسى

نسيتُ، فأنكرتُ!

حين تذكرتُ.. أيقنتُ..

ما عاد متسعٌ للخيال

ولا أفقٌ في البعيد يُهلُّ

ولا وجهٌ أيقونةٍ..

في حُميا صلاتي يُطلُّ

ورؤياك - يا شيخنا - باطلةً

تظلُّ مهومةً في الفضاءِ العريضِ

محلقةً بينَ بينٍ

فلا هي هابطةٌ للعبادِ

ولا هي صاعدةٌ للسماءِ
هي البرزخُ القانصُ العابرينَ
ليُوقعهم في جحيمِ السؤالِ!
فأين الخلاصُ؟
وكيف النجاةً..؟
رأيتُ..
فللمتُ نفسي..
وسرّتُ!

قطار الوقت

فى زمن يُفَلتُ من بين أصابعنا
- مثلَ صفييرِ قطارٍ عابرٍ
يفترشُ محطاتٍ ليليةٍ -
أبحثُ مرتجفاً عن مأوى
بعْدَكَ .. لا مأوى
من ليلٍ مجنونٍ كاسحٍ
فأنا مختنقٌ حتى الموت!
تسربُ الظلمةُ فى روحى

أترنحُ ،
أوشكُ أن أهوى
منخوبَ القلب من الإعياءِ
يقهرنى سأمُ الوقت اللافحِ
وشرابُ الكأسِ المسمومِ الطافحِ
أنتظرُ صباحاً فيه تُهلّين
قادمةً من ليل المنفى
تُحيينَ رمادَ الصحراءِ
وجُنونَ الصبوةِ فى الأشياءِ
ودبيبَ الصحوِ ..
إلى أفقِ الأيامِ الموحشةِ النكراءِ
وشعاعِ الرحمةِ
للقلبِ العارى الصّديانِ
ها أنتِ تُهلّينِ الآنَ
فى كفى وردتكِ الصفراءِ

وفى عينيكِ دموعٌ أندلسية
فيعود إلى النهر الجريانُ
وتسرى في الثلج النيرانُ
ويصبحُ حتى للأحزانُ
طعم ومذاقٌ مختلفان!
من يضمن وعداً ملتبساً
يُزجيه لنا الزمنُ القادم!
هل يكفيننا أن نتلاصقَ ..
حتى يقترب قطارُ الوقتِ
منطلقا كجوادٍ جامحٍ ..
يُغريه فضاءُ البريةِ
يتوقف حيناً،
ثم يغادرنا
ونعود كما كنا غُرباء!
هل يكفي أن نقتات معا

خبزَ الأيامِ الملعونة
ونرددُ أنّ الكونَ فسَدَ
والناسَ وحوشٌ مفترسة
تتهشُّ أحلامَ الشعراءِ!
مُدَى حَبْلاً من بين الموجِ
لغريقٍ يقهرهُ الطوفان
قلباناً . الليلةُ . مُخْتَرَقَانِ
يلفحُنَا إعصارٌ كونيّ
يحملُ كلَّ شرورِ العالمِ
وفسادَ غَوَايته الأولى
عُمرانا . الليلةُ . يأتلفانُ
سداً في وجهِ الأرزاءِ
والقُبْحِ السائدِ في الأرجاءِ
ولدينا . الليلةُ . ما يكفى ...
هذا ميراثُ الأحزانِ !

الفهرس

يقول الدم العربى

٩ يقول الدم العربى
١٦ مدن للرحيل
٢٤ موكب الشهداء
٣٠ بيروت
٣٥ يتغير لون الماء
٣٩ رسالة إلى أبى
٤٤ دعونى أوّجل حزنى
٤٨ فى أرض رفاعة
٥٠ عن الحب والحرية
٥٧ رحيل المغنى
٦١ الوجه المراوغ

٦٥	وردتنا تفتحت
٦٩	حبة رمل
٧٦	الليل موعدنا
٨١	ترنيمة للنور
٨٥	جلوة ليل
٩٠	زيت ونيران

هئت لك

١٠٠	انتساب
١٠٣	هئت لك
١١٠	هلوسة
١١٧	القصيدة والرعد
١٢١	اعتذار إلى يوسف أدريس
١٢٧	محاولة لاصطياد رامبو
١٣٤	مكان ضيق القلب
١٣٩	البحث عن مأوى
١٤٤	الزمن الغارب
١٥٠	صيفية
١٥٤	عصفورة
١٥٨	تشكيل

١٦١ أغنية إلى عمّان
١٦٧ حديث اليمامة
١٧٣ البحث عن بداية
١٧٨ مملكة الفسق
١٨٢ أبو جهاد
١٨٨ الكلمة
١٩٦ بلادى التى أكلت عاشقها
٢٠٣ تفرق السمار
٢١٠ موعدك الآن

سيدة الماء

٢١٩ النيل
٢٢٣ كرة النار
٢٢٧ الإسكندرية
٢٣٨ إنها تمطر صيفا
٢٤٤ إلقاء
٢٥٠ فتيلة من رماد الوقت
٢٥٨ ماوية
٢٦٣ سيدة الماء
٢٦٨ رحيل النوارس

٢٧٥ الأسئلة
٢٨٠ طائر الصباح والمساء
٢٨٥ القزم

وقت لاقتناص الوقت

٢٩٢ عصفور الحلم
٢٩٦ عن القمر والمصافير
٣٠١ بينى وبين البحر
٣٠٤ كلام عن السلام
٣١١ إنها تعبر المسافة
٣١٥ احتجاج
٣١٩ الذبح والسكين
٣٢٤ وقت لاقتناص الوقت
٣٢٨ لؤلؤة المجوس
٣٣٢ تراجع
٣٣٦ انشطار
٣٤٣ ممعن فى اليقين
٣٤٩ عاشق اللون
٣٥٣ وجه الكون
٣٥٧ هو الليل
٣٦١ وجه لا يطمسه غياب

وجه أبنوسى

٢٦٨ بدايات
٢٧٢ القصيدة واللون
٢٧٦ وجه أبنوسى
٢٧٩ وجه يمنحنى الففران
٢٨٨ بين طائرتين
٢٩١ تراجع
٢٩٥ شوقى
٤٠٥ باريس
٤١٥ أبى
٤٢٣ لوركا: المغنى العربى بالإسبانية
٤٣٥ نخب للعائلة
٤٤٤ تبوءة العراف الأعمى
٤٥٠ الشهيد
٤٦٠ الفنار
٤٦٥ إلياس أبوشبكة
٤٧٣ زحلة

الجميلة تنزل إلى النهر

٤٩٤	الجميلة تنزل إلى النهر
٥٠٤	وطن أم امرأة
٥١٤	أيها الصيف الذي وتى سريعاً
٥٢٥	حائط الوطن العارى
٥٣٤	الرماد أمامك
٥٤٦	قلبي معك
٥٥٨	اللوحه الغائبة
٥٦٢	الجبيل
٥٦٩	رؤيا
٥٧٨	قطار الوقت

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص.ب : ٢٢٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. egyptianbook. org. eg
E - mail : info @egyptianbook.org. eg

الأعمال الشعرية
المجلد الثاني

يقول الدم العربي
هنت لك

سيدة الماء

وقت لاقتناص الوقت

وجه ابنوسى

الجميلة تنزل إلى النهر

المصدر: الشاعر: الأديبة هاجر

١٦ جنيهاً الهيئة المصرية العامة للكتاب

ISBN# 9789774204096



6 221149 008656